ق والقرآن المجيد

مجلة شهرية
تصدر عن قسم
الشؤون الفكرية
والإعلام في
العتبة الكاظمية
المقدسة العدد
٣٥-٣٦ رجب -
شعبان ١٤٣٧هـ
السنة الرابعة

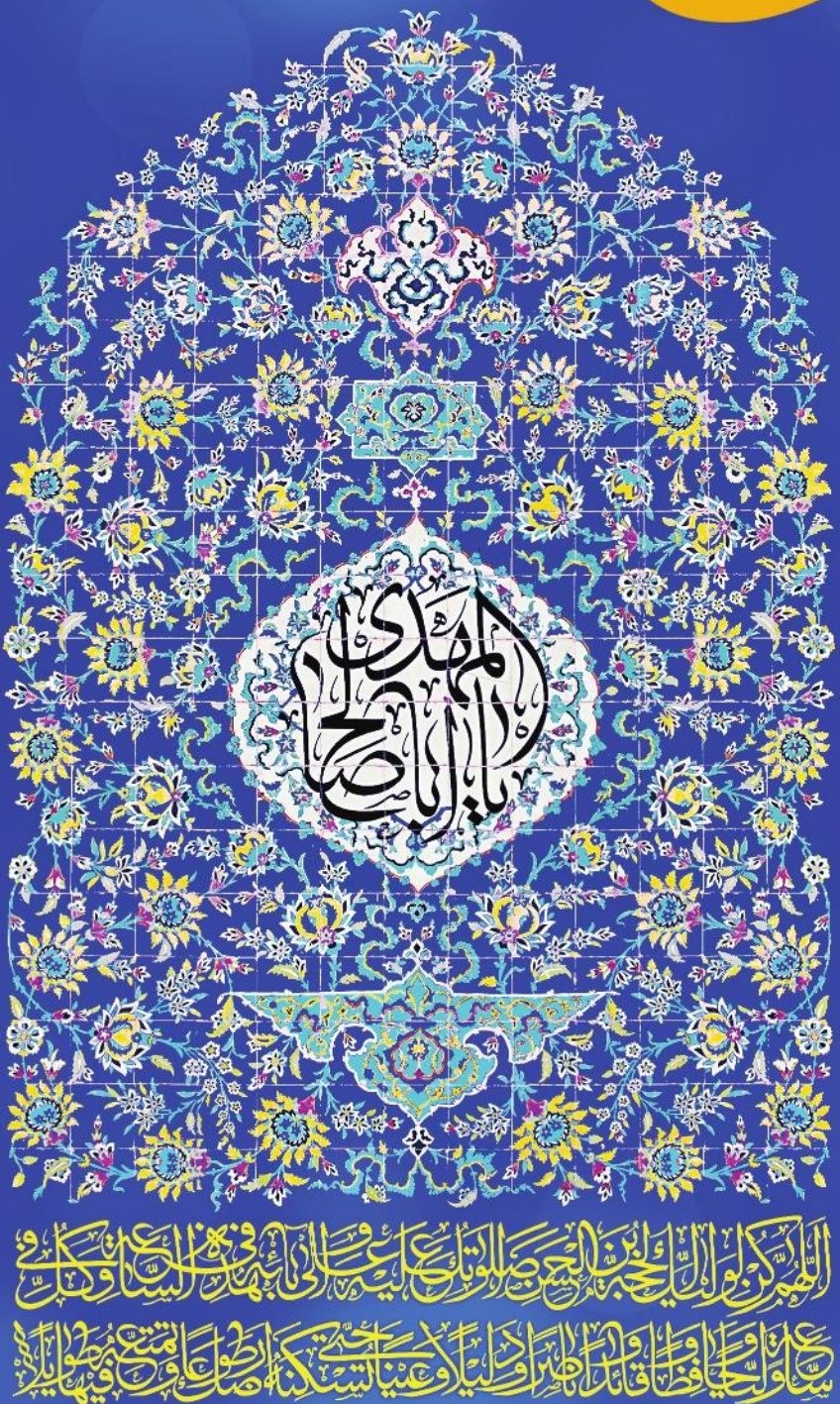

العتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والإعلام

العدد ٣٥-٣٦ رجب - شعبان ١٤٣٧هـ
السنة الرابعة

www.aljawadain.org

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
الوطنية ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣م

٦

اقرأ في هذا العدد..

٨	الإمام الكاظم عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم
١٨	علم الفلك
٢٠	الأستاذ يحيى الصحاف
٢٤	حجية العمل بظواهر القرآن
٢٨	المفسر الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي
٣٠	خُلق المعرفة

رئيس التحرير
الشيخ عدي حاتم الكاظمي

سكرتير التحرير
رعد عبدالله التميمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم
عبدالله جاسم محمد

الشريكان

إن من أهم الثوابت التي جاء بها ديننا الحنيف هو ارتكازه على الثقلين في تشريعاتهِ وسننهِ التي تصل إلى الناس.

إن هذين الثقلين (كتاب الله والعترة) لا يمكن إن ينفكا عن بعضهما في فهم أيَّةِ مسألة تخص الدين، ولا يمكن فهمها من خلال ثقل واحدٍ متفرد لوحده.

وهذه من أهم المشاكل، بل الفتن التي وقعت فيها الأمة الإسلامية في وقوع الإفراط أوالتفريط في أحد الثقلين، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا التفريط أو الإفراط إنما نتيجته ترك الدين ومبادئه الحقيقية والاتجاه نحو دين جديد وتعاليم جديدة لم ينزل الله بها من سلطان، خاصة وأن الكثير ممن عمدوا إلى هجر العترة والبقاء أو التمسك بثقل القرآن وظواهره، فكانت أول الثمار والنتائج التي ظهرت وطفت على السطح هم الخوارج وَهَلم جرَّى.

إن ما يعانيه المسلمون اليوم من تشتت وفرقة وضعف وجهل في أبسط بديهيات الإسلام إنما نتيجته لما وقع من إخفاق وعدم التوفيق بين الكتاب والعِتَرة.

إن الكثير من أجيالنا وأبناءنا بدءوا في مرحلة المقارنة بين ما عندهم من موروث إسلامي وبين ما يشهده العالم من حضارة جديدة متقدمة لا تعرف للدين أي مفهوم سوى (إننا نعتقد بوجود قوة مسيطرة في هذا العالم).

أما البعد الأخلاقي والفقهي والعقدي فهو ضَعيف أو معدوم في كثير من الأحيان، فهو مجتمع مادي بحت، ولكن مع ذلك يملك من البهرجة والجذب كحضارة معاصرة لا تملكها الكثير من الحضارات أو الأديان خاصة في دعوته إلى جعل الهدف والمحور هو الإنسان لا شيء آخر، وأن احترام الإنسانية والإنسان أمر مقدس.

فكانت الحلول التي طُرحت على الساحة في إنقاذ هذا الجيل لم تصل إلى نتائج مجدية أو ناجعة لكون أنها آثرت على نفسها أن تقبل بالعودة إلى كتاب الله وعترة أهل البيت عليهم السلام، لكون أن هناك شرطاً بالهداية ما داموا معاً فإن تفرقا وقع الضلال، وما هذا الحال الذي تعيشه الأمة بأجمعها إلا ضلال وابتعاد عن منهج الحق إلا ما رحم ربي.

الشيخ عدي حاتم الكاظمي

النَّصُّ على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

محمد عبد الحسين المالكي

ممّا أُثر تأويله في آل البيت عليهم السلام من آي الذكر الشريف قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(١)، روى ابن شاذان(٢)، بحذف الإسناد عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله الأنصاري قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله ما عدّة الأئمة؟ قال صلى الله عليه وآله: يا جابر، سألتني - رحمك الله عن الإسلام بأجمعه - إلى أنْ قال صلى الله عليه وآله: وعدّتهم عدّة العيون التي انفجرت منه (أي من الحجر) لموسى بن عمران حين ضرب بعصاه الحجر ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنٍ﴾، وفي الحديث تصريح واضح من النبي صلى الله عليه وآله بأن الإمامة أساس الدين، بل هي الدين كلّه، وعن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام في خبر طويل في تفسير قوله تعالى قال:(﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، إن قوم موسى لما شكوا إليه الجدب والعطش استسقوا موسى فاستسقى لهم فسمعت ما قال الله له، ومثل ذلك جاء المؤمنون إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله تعرّفنا من الأئمة بعدك؟ فقال: وساق الحديث إلى قوله: فإنك إذا زوَّجت علياً من فاطمة خلَّفت منها أحد عشر إماماً من صلب علي يكونون مع علي اثنا عشر إماما كلهم هداة لأمتك يهتدون بهم، كلُّ أمة بإمام منهم، ويعلمون كما علم قوم موسى شربهم)(٣)، وإلى هذا العدد أشار بعض الشعراء ومنهم العوني قائلا:

نصٌّ على ستٍّ وستٍّ بعده
كلُّ إمامٍ راشدٍ برهانه
صلَّى عليه ذو العلى ولم يزل
يغشاه منه أبداً رضوانه

وقال الإمام الصادق عليه السلام حول موضوع الميثاق بعد ذكره لبعض الآيات التي جاءت فيها هذه الكلمة رواية عن النبي صلى الله عليه وآله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ)، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾(٤)، ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾(٥)، إن الله تعالى أخذ ميثاقي وميثاق اثني عشر إماماً بعدي وهم حجج الله على خلقه، الثاني عشر منهم القائم الذي يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجورًا)(٦).

١- سورة البقرة: الآية ٦٠.
٢- المناقب المائة لابن شاذان، المنقبة الحادية والأربعون: ٢٨-٢٩.
٣- ينظر مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ٢٤٣/١.
٤- سورة الأحزاب: الآية ٧.
٥- سورة المائدة: الآية ١٢.
٦- مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ٢٤٣/١.

شكوى الرسول

صلى الله عليه وآله

جلال علي محمد / دار القرآن الكريم

من حقنا أن نسأل أين نحن من شكوى النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين؟!.. وأقصد بها ما ذكره تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾(١).

فمن الأجدر بنا عندما تمر بنا هذه الآية المباركة أن نتوقف عندها، ونتمعن بها ونطيل النظر فيها؛ لأن شخصية مثل شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بسماحته وكرم أخلاقه وتودده وتلطفه بنا ليس من السهولة أن يشكو ويتألم، إلا إذا كان الخطب عظيمًا، وله مساس وأثر سلبي علينا نحن.. فلا القرآن محتاج لنا، ولا الرسول يتربص بنا ليشكونا.

لا يخفى على كل منصف لبيب أن القرآن الكريم هو رمز الحياة الكريمة، ووسيلة للنجاة، وسبب لكل رقي في الدنيا والآخرة فيما لو التزمنا به، فقد أنزله تعالى ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، وهو أول الثقلين الذي أوصانا بالتمسك به رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي)(٣).

فمما يؤسف له أن هذا الكتاب المكتنز بكل ما يبث الحياة وأخلاق الله تعالى غادره الكثيرون فنهلوا من غيره، وانعكس ذلك في السلوك والنظريات والقوانين الوضعية، وقد نجد القرآن الكريم مجرد كتاب للتبرك به، وقد تحول إلى كتابات ولوحات مزخرفة تزيِّن القاعات والمساجد، نعم قد نجد هنا وهناك حملات لتحفيظ القرآن الكريم وتدريسه، وقطعًا هذه النشاطات محمودة، وجهود القائمين عليها مشكورة، لكننا نرى في الوقت نفسه أن من هؤلاء الحفظة في بلداننا الإسلامية عندما يكبرون يأخذون أفكارهم وأساليب حياتهم من الغرب، متأثرين بمنهجهم، تاركين وراءهم روح القرآن وتعاليمه البناءة، بل الأدهى أن بعضًا منهم يستدلون بآيات الكتاب العزيز لاستباحة الحرمات وهدر الدماء وقتل الأبرياء بسبب التفسير بالرأي المنحرف، أفلا يستدعي ذلك شكوى الرسول إلى الله تعالى؟!.. هذه دعوة للعودة إلى فكر القرآن وأخلاقه ووصاياه وأحكامه ونهجه، فما أحوجنا إليه اليوم.. فـ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)، لا يهددهم، ولا ينتهك حرماتهم، أو يفسد حياتهم، بل هو كتاب هداية وبشارة لهم.

١- سورة الفرقان، الآية ٣٠.
٢- سورة النحل، الآية ٨٩.
٣- بحار الأنوار للمجلسي: ١٠٠/٢.
٤- سورة الإسراء، الآية ٩.

نجاة بني إسرائيل من الغرق

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[1]، اللغة: الفرق هو الفصل بين شيئين إذا كانت بينهما فرجة، وأيضًا بمعنى الطائفة من كلّ شيء، ومن الماء إذا انفرق بعضه عن بعض، وكلمة (فرقنا) أشد تفريقا وأبلغ من كلمة (فرَّقنا) بالتشديد، فمعنى فرَّقنا بكم البحر: جعلناه فرقاً و أجزاءً، ومعنى فرقنا بكم البحر: شققنا بكم البحر[2]، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ معناه: والحال أنكم تشاهدون غرقهم، فالجملة الإسمية منصوبة على الحالية، وهذا أبلغ في الشماتة وإظهار المعجزة، حيث إن مشاهدة المعجزة حين وقوعها أعظم بمراتب كثيرة من مجرد سماعها وتناقلها، والآية المباركة تستطرد ذكر النعم الإلهية، فهي معطوفة على الآية السابقة، وإليك قصة فرعون مع بني إسرائيل في البحر على ما رواها ابن عباس، قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسير ببني إسرائيل من مصر، فسار موسى ببني إسرائيل ليلاً، وتبعهم فرعون في ألف ألف حصان، وكان موسى في ستمائة ألف وعشرين ألفا، فلما عاينهم فرعون قال: إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون، وإنا لجميع حاذرون، فسار موسى ببني إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر، فالتفتوا وقالوا: يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، وهذا البحر أمامنا وفرعون قد رهقنا بمن معه، فقال موسى عليه السلام: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض، فينظر كيف تعملون، فقال له يوشع بن نون: بم أمرت؟ قال: أمرت أن أضرب بعصاي البحر، قال: اضرب، وكان الله تعالى أوحى إلى البحر، أن أطع موسى إذا ضربك، قال: فبات البحر له أفكل أي: رعدة لا يدري في أيِّ جوانبه يضربه، فضرب بعصاه البحر، فانفلق وظهر اثنا عشر طريقا، فكان لكلّ سبط منهم طريق، يأخذون فيه، فقالوا: إنا لا نسلك طريقاً نديًا، فأرسل الله ريح الصبا، حتى جفَّفت الطريق كما قال: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾[3]، فمشوا في الطريق و قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا؟ فقالوا لموسى: أين أصحابنا؟ فقال: في طريق مثل طريقكم، فقالوا: لا نرضى حتى نراهم، فقال عليه السلام: اللهم أعنِّي على أخلاقهم السيئة، فأوحى الله تعالى إليه أن مِل بعصاك هكذا وهكذا يميناً وشمالاً، فأشار بعصاه يميناً وشمالاً، فأصبح البحر كمثل النافذة ينظر من خلالها بعضهم إلى بعض، فلما انتهى فرعون إلى ساحل البحر وكان على فرس حصان أدهم، هاب دخول الماء و تمثَّل له جبريل على فرس واقتحم البحر فلما رآها الحصان دخل خلفها، ثم دخل قوم فرعون، فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر، أطبق الله عليهم الماء فأغرقوا جميعًا ونجا موسى ومن معه من المؤمنين[4].

١- سورة البقرة: الآية ٥٠.
٢- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١/ ٢٠٦.
٣- سورة طه: الآية ٧٧.
٤- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١/ ٢٠٦.

حضور وفد العتبة الكاظمية المقدسة

في محفل القوات الأمنية والحشد الشعبي

في صحن سيد الشهداء عليه السلام

تحرص الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة على تلبية الدعوات الموجهة لها من قبل العتبات المقدسة للمشاركة في جميع النشاطات الدينية والقرآنية ومنها المحفل القرآني الكبير الذي أقامته العتبة الحسينية المقدسة لقرّاء الحشد الشعبي المقدس والقوات الأمنية في ظل الأيام الشعبانية المباركة التي تشهد ولادة خاتم الأئمة المعصومين الحجة بن الحسن عجل الله فرجه ومواكبا لبشائر الانتصارات التي يحققها أبناء العراق الغيارى في ساحات الوغى وعن هذا المحفل المبارك كان لأسرة مجلة (ق والقرآن المجيد) لقاء مع مدير دار القرآن الكريم الشيخ حسن المنصوري فتحدث مشكورا: تزامنا مع الانتصارات التي يحققها أبناء العراق في ساحات القتال ضد العدو الداعشي التكفيري يقام هذا المحفل السنوي الثالث للقوات الأمنية والحشد المقدس بمشاركة عدد كبير من القرّاء وبمختلف الرتب والدرجات العسكرية حيث تجتمع هذه الثلة الطيبة المؤمنة في رحاب سيد الثائرين أبي عبد الله الحسين عليه السلام لينهلوا منه عنوان البطولة والتضحية والفداء متضرعين إلى الله أن ينصر العراق ويحفظ أبناءه ومقدساته الشريفة، وفي ضل هذه الأجواء القرآنية المباركة تم توزيع كتيب تحت عنوان زاد المجاهد الذي يحتوى على عدد من الأدعية ووصايا المرجعية إضافة إلى الآيات والروايات التي تحث على الجهاد في سبيل الله.

قارئ مئذنة الإمامين الجوادين عليهما السلام

ومشاركة فاعلة في المسابقات القرآنية الدولية

شارك قارئ مئذنة الإمامين الجوادين عليهما السلام الشيخ (رافع محمد جواد العامري) في تحكيم الدورة القرآنية السنوية الدولية الثالثة والثلاثين لمسابقات حفظ وتلاوة القرآن الكريم التي تقيمها الجمهورية الإسلامية في إيران، ليكون ضمن قافلة المحكمين السبعة عشر حكما الذين تم اختيارهم من بلدان مختلفة، وذلك لاتقانه وجودة أدائه في حقل التلاوة والتجويد، ولم يكتفِ بذلك، بل تشرف برفع الآذان في مئذنة الإمام الرضا عليه السلام، وشارك مؤخرا في ندوة إعداد اللوائح الخاصة بتحكيم مسابقات القرآن الكريم التي أقامتها منظمة الأوقاف والشؤون الخيرية في الجمهورية الإسلامية لتكون معتمدة في جميع المسابقات الدولية القرآنية.

وَمضة من سورة هود عليه السلام

عامر عزيز الأنباري

إن الاستقامة هي السلوك الطبيعي والفطري لمسيرة الحياة التي أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده، ونقيضها الاعوجاج والابتعاد عن جادة الصواب، وهو الانحراف الذي تنجم عنه الأخطاء والخلل في السلوك، ولتدارك هذه الجمل من الانحراف لابد أن يكون هناك صلاحٌ وإصلاح ، فهما نقطتا الانطلاق نحو التغيير والتحرك باتجاه ما هو أفضل، وفي إطلالة مقتضبة على ما ورد، أو أُريد في سورة هود المباركة من الصلاح والإصلاح، نستلهم ومضات سريعة منها فالسورة لها ما لها من الأهمية في الوعظ والإرشاد، والوعد والوعيد لمن خالف، ولعظيم خطابها قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: (شيبتني هود وأخواتها)، والصلاح في اللغة ضد الفساد ، واستصلح ضد أفسد، وقد جاء التداول القرآني لهما متنوعاً في هذه السورة ، فتارةً يكون الإصلاح ذا بعدٍ واسعٍ وشموليٍّ، فهو يعبر عن التحرك نحو البناء التكاملي للحياة المجتمعية، كما عبر عنه الباري جل وعلا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]، ويأتي الإصلاح تأكيدٌ على موفور النعم التي يتدارك فيها سبحانه زلل عباده من خلال أنبيائه ورسله، الذين مَنَّ الله عليهم بنعمة الهداية والأخذ بيد البشر نحو سبل النجاة من النار، وأن ما يُلزم به النبي غيره من الهداية والصلاح فإنَّه أول من يكون ملزماً به، فلا ينبغي أن يدعو المصلح غيره إلى الصلاح وهو بعيدٌ عنه كل البعد، وتارةً يَعدُّ (جل وعلا) الإصلاح من دواعي الرأفة بعباده وكشف البلاء والغضب الإلهي ونزوله بساحتهم ما دام هناك من يدعون إلى الخيرات ويصلحون في الأرض فيقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[2]، وفي الجانب الآخر وهو جانب الطاعة تبقى الثلة المؤمنة مأمونة الجانب محاطةً بجلال الله ورأفته مستثناةً من ذلك الغضب الذي يُصاب به المجرمون، فيقول سبحانه: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[3]، كما يعطي القرآن في هذه السورة مثالاً آخر لهذا الامتياز الذي ينفرد به المصلحون حينما يصف كيف نجَّا الله نبيه صالحاً والذين آمنوا معه من العذاب والخزي الَذين ألمَّا بالكافرين بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾[4]، ويحمل معه البشارة للصابرين الذين يعملون الصالحات والمغفرة والأجر الكبير فهم مستثنون عمن أصبحوا خارج دائرة الفساد بقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[5]، ويُطلعنا سبحانه كيف يكون التعبير القرآني بصدد تحديد الهوية الإيمانية للفرد، وبيان ما لها وما عليها من الامتيازات، فيجعل الإيمان والعمل الصالح هو المعيار الأول للتقييم، بعيداً عن المحاباة وما تولّده صلة الأرحام والقرابة من تأثيرات تسهم في المجاملة والمداهنة على حساب الحق، فهذا المنطق مرفوضٌ تماماً في المنظور الإلهي، فالله عز وجل يأمر نبيه نوحاً عليه السلام ألا يرجو نجاة ولده الذي تخندق في خندق الكافرين، فكان نصيبه أن يحلَّ به ما أحلَّ بالكافرين فيصفه بأنه عملٌ غير صالح: ﴿وَقَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[6]، مؤكداً العدالة الإلهية في التعامل مع بني البشر وكيف أن رابطة العقيدة والإيمان هي التي يجب أن تقدَّم على رابطة القرابة. كما فعل نوحٌ عليه السلام في إعراضه عن ولده وإن أسف لغرقه وهلاكه لعدم إدراكه سبيل الصلاح مع الذين آمنوا من قومه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾[7]، مطيعا لحكم الله وقضائه ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[8]، فلابد لكل من آمن بالله حقاً وصدقاً يسأله تعالى الصفح والرحمة حتى أتقى الأتقياء، لأن (من عظم الخالق في نفسه صغر ما دونه في عينه حتى الموت في سبيله تعالى)[9]، نستمدُّ من هذه الومضات السريعة لما ورد في هذه الآيات الشريفة من سورة هود المباركة والتي تدل على أن الصلاح والإصلاح في المجتمعات يؤكدان الطاعة الخالصة لله سبحانه وتعالى، وأنهما السبيل الأمثل لبناء الحياة السليمة للإنسانية أجمع.

١- سورة هود، الآية ٨٨.

٢- السورة نفسها، الآية١١٧.
٣- السورة نفسها، الآية ١١٦.
٤- السورة نفسها، الآية ٦٦.
٥- السورة نفسها، الآية ١١.

٦- السورة نفسها، الآية ٤٦.
٧- السورة نفسها، الآية ٤٧.
٨- السورة نفسها، الآية ٤٨.
٩- التفسير المبين، الشيخ محمد جواد مغنية، ص٢٩٢.

الإمام الكاظم عليه السلام

وآثاره في تفسير القرآن الكريم

-٢-

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ سورة البقرة:الآية ٤٥

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة:الآية ٣٤ في روايات الإمام الكاظم عليه السلام التفسيرية، ونتحدث في هذه الصفحات القرآنية عن آية ثانية، مع بيان ما يتعلق بها.

الشيخ عماد الكاظمي

* عن سليمان الفراء[١]، عن أبي الحسن [الكاظم] عليه السلام في قول الله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾؟

قال: الصبر الصوم، إذا نزلت بالرجل الشدة، أو النازلة فليصم[٢].

وورد الحديث بالسند نفسه أيضًا عن الإمام الصادق عليه السلام.[٣]

إنَّ هذه الرواية التفسيرية الشريفة تبحث عن علاقة تفسير الصبر بالصوم دون غيره من العبادات الأخرى، وقد ذكر المفسرون في ذلك أقوالاً متعددة، نذكر منها:

١- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((والصبرُ المأمورُ به في الآيةِ قيل: فيه قولان: أحدهما: الصبرُ على طاعتهِ واجتنابُ معصيتهِ. والثاني: إنه الصوم. وفي الصلاة ههنا قولان: أحدهما: الدعاء. والثاني: إنَّها الصلاةُ الشرعيةُ ذاتُ الركوعِ والسجودِ. وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا أحزنَهُ

١- سليمان الفراء مولى طربال، قال الشيخ "النجاشي" إنه يروي عن الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام، وعَدَّهُ الشيخ "الطوسي" من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، روى أحاديث كثيرة عنهم. الخوئي، أبو القاسم: معجم رجال الحديث ٣٠٦/٩.

٢- العياشي، محمد بن مسعود: تفسير العياشي ٤٣/١، وينظر: البحراني، هاشم: البرهان في تفسير القرآن ٢١١/١.

٣- الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ٦٤/٤ باب (ما جاء في فضل الصوم والصائم) الحديث ٧.

أمرٌ آستعانَ بالصلاةِ والصومِ))[٤]، وأما فيما يتعلق من آنطباق الصبر على الصوم كما ذكرته الرواية الشريفة فيقول: ((وأصلُ الصبرِ هو منعُ النفسِ محابَّها، وكفُّها عن هواها، ومنه الصبرُ على المصيبةِ، لكفِّهِ نفسَهُ عن الجزعِ، وقيلَ لشهرِ رمضانَ: الصبرُ، لصبرِ صائمِهِ عن الطعامِ والشرابِ نهارًا))[٥].

٢- قال "الزمخشري" (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): ((وآستعينوا على البلايا والنوائبِ بالصبرِ عليها، والالتجاءِ إلى الصلاةِ عندَ وقوعِها، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبَهُ أمرٌ فزعَ إلى الصلاةِ، وقيل: الصبرُ الصومُ؛ لأنَّهُ حبسٌ عن المفطراتِ. ومنه قيلَ لشهرِ رمضانَ: شهرُ الصبرِ. ويجوزُ أنْ يُرادَ بالصلاةِ الدعاءُ، وأنْ يُستعانَ على البلايا بالصبرِ، والالتجاءِ إلى الدعاءِ، والابتهالِ إلى اللهِ تعالى في دفعِهِ))[٦].

٣- قال "الطبرسي" (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((وآستعينوا على الوفاءِ بعهدي الذي عاهدتكُمْ في كتابِكُمْ عليه من طاعتي، وآتباعِ أمري، وتركِ ما نهيتُكُمْ عنه، والتسليمِ لأمري، وآتباعِ رسولي محمد ﷺ بالصبرِ على ما أنتم فيهِ من ضيقِ المعاشِ، الذي تأخذونَ الأموالَ من عوامكُمْ بسببِهِ، وروي عن أئمتنا ﷺ أنَّ المرادَ بالصبرِ الصومُ، فيكونُ فائدةُ الاستعانةِ به أنَّهُ يُذْهِبُ بالشرهِ، وهوى النفسِ، وفائدةُ الاستعانةِ بالصلاةِ أنَّهُ يُتلى فيها ما يرغبُ فيما عندَ الله تعالى، وبزهدٍ في الدنيا، وحُبِّ الرئاسة، وكان النبيُّ "صلى الله عليه وآله وسلم" إذا حَزَنَهُ أمرٌ آستعانَ بالصلاةِ والصومِ))[٧].

من خلال ما تقدم من أقوال المفسرين نرى موافقة تفسيرهم لما ورد عن الإمام الكاظم ﷺ في صرف "الصبر" الوارد في الآية الشريفة إلى أعظم مصاديقه وهو "الصوم" هذا من جانب، ومن جانب آخر آعتماده ﷺ على سيرة النبي ﷺ في تعامله مع الأحداث التي كانت تقع عليه، أو على المسلمين، فقد تقدم آستعانته بالصلاة والصوم، وتكمن في ذلك العلاقة الوثيقة بين الصبر والصوم؛ لأنَّ الصوم الشرعي الذي هو إمساك عن المفطرات لا يمكن أنْ يقوم به العبد من غير الصبر على أداء الطاعة، والصبر عن المعصية، ففي الصوم تتجسد أعظم حالات المجاهدة والصبر.

ولقد قسم العلماء الصوم على أقسام ثلاثة وهي: ((صومُ العوامِ، وصومُ الخصوصِ، وصومُ خصوصِ الخصوصِ، فالأولُ هو الصومُ عن المفطراتِ المذكورةِ في كتبِ الفقهِ، والثاني إضافةٌ لما تقدمَ كفُّ البصرِ واللسانِ، واليدِ، والرجل، وسائرِ الجوارحِ عن المعاصي، والثالثُ هو الكفِّانِ المذكورانِ مع صومِ القلبِ عن الهممِ الدنيَّةِ، والأخلاقِ الرديَّةِ))[٨]، ولو أردنا أنْ نتأمل في هذه الأقسام الثلاثة لرأينا حقيقة أنَّ الصبر أداة عظيمة في أداء الصوم بكُلِّ أنواعه.

فالصوم إذن هو من مصاديق الصبر في الآية الشريفة، ولا يعني أنه هو المراد فقط فيها، قال السيد الطباطبائي (ت١٤٠٣-١٩٨٢م) بعد ذكره للحديث الشريف في بيان الآية: ((وتفسيرُ الصبرِ بالصيامِ من بابِ المصداقِ والجري))[٩].

أقول ويمكن أنْ نستقرىء في هذه الآية الشريفة المباركة موضوعات متعددة ذات أهمية كبيرة، من خلال التدبر فيها، ومنها:

١- إنَّ الآية الشريفة تبيِّن للإنسان المسلم طريقًا من طرق الفوز والفلاح في الوصول إلى الله تعالى، وهو الاستعانة، والتي عُرِّفَت بأنها: ((طلبُ العونِ))[١٠]، فالاستعانة أمر مشروع في الشريعة المقدسة، وينبغي على الإنسان أنْ يسعى لمعرفة سبل العون في الوصول إلى المطلوب، ولا علاقة للاستعانة بالشرك كما يريد أنْ يصوِّره بعض من المسلمين، قال السيد الخوئي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م): ((لا مانعُ من آستعانةِ الإنسانِ في مقاصدِهِ بغيرِ اللهِ من المخلوقاتِ، أو الأفعالِ، قال تعالى: ﴿آسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، فليستِ الاستعانةُ بمطلقِها تنحصرُ باللهِ سبحانَهُ، بل المرادُ منها آستمدادُ القدرةِ على العبادةِ منه تعالى، والاستزادةُ من توفيقِهِ لها حتى تتمَّ وتخلصَ))[١١]، والاستعانة -بصراحة- ضرب من ضروب التواضع والاستقامة والاختيار للأفعال، دون التكبُّر والاعتداد بالنفس وقواها، وبها يعرف الإنسان محدوديته وضعفه، وحاجته لقوة أخرى تسدُّ له ذلك.

٢- في الآية الشريفة إشارة واضحة إلى عظمة فرعين من فروع الشريعة المقدسة، وهما: الصوم والصلاة، ولا يخفى عظمتهما، وحقيقتهما، وأسرارهما، فيجب على المسلمين الاعتناء بهما، والمحافظة على حدودهما، فضلاً عن إتيانهما على وفق ما أمر الله تعالى، وقد عَدَّتهما الآية الشريفة من أسباب العونِ للإنسان في الوصول إلى الله تعالى، والتغلُّب على الشدائد والبلايا، فعلينا أنْ نجعل صلاتنا وصيامنا معراجًا إلى الله تعالى، وحصنًا واقيةً من الوقوع في الفتن والمضلات، ومفزعًا للنفس من المُلِمَّات، وهذه هي سيرة أئمتنا ﷺ، فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: ((كان [الإمام] علي ﷺ إذا هالَهُ أمرٌ فَزِعَ قامَ إلى الصلاةِ، ثم تلا هذهِ الآيةَ: ﴿وَآسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾))[١٢].

٣- في الآية الشريفة إشارة إلى أمرين عظيمين آخرين، وهما: الصبر والخشوع، وكلاهما من مراتب كمال الإنسان المؤمن، ويجب علينا أنْ نتحلى بهما، والشريعة المقدسة قد بيَّنت فضلهما، وآثارهما، ومقامهما، وقد ورد في علاقة الصبر بالإيمان قول الإمام الصادق ﷺ: ((الصبرُ من الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ من الجسدِ، فإذا ذهبَ الرأسُ ذهبَ الجسدُ، كذلكَ إذا ذهبَ الصبرُ ذهبَ الإيمانُ))[١٣]، وأما في آثار الخشوع وعلاماته، وما فيه من آثار عظيمة، فقد ورد عن النبي ﷺ: ((أمَّا علاماتُ الخاشعِ فأربعةٌ: مراقبةُ اللهِ في السرِّ والعلانيةِ، وركوبُ الجميلِ، والتفكُّرُ ليومِ القيامةِ، والمناجاةُ للهِ))[١٤]، فعلينا أنْ نتأمل في هذه الآثار لنرى مستوى أثرها على الإنسان في العمل والسلوك.

٤- إنَّ الآية الشريفة تشير إلى أنَّ الاستعانة بالصلاة خصوصًا مسألة عظيمة جدًّا، وقد وُصِفَتْ بقوله تعالى: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) عمومًا، إلا على صنف خاصٍّ من الناس وهم الخاشعون، الذين كانت الصلاة أُنسهم، وسلاحهم، ومعراجهم، وقد آختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) هل الضمير في (وَإِنَّهَا) يعود على الصلاة، أو على الاستعانة، وأغلبهم يذهب إلى أنَّ المراد بها الصلاة، فإنْ كان المراد هو "الصلاة" فلا يخفى عظمة الإشارة إليها، وإنْ كان المراد هو "الاستعانة" فلا يخفى عظمة الصوم والصلاة، أو الصبر والصلاة على كُلِّ التفاسير.

٤- محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن ٢٠١/١.
٥- المصدر نفسه، الجزء والصفحة نفسهما.
٦- محمود بن عمر: تفسير الكشاف ١٦٢/١.
٧- الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢١٧/١.
٨- النراقي، محمد مهدي: جامع السعادات ٣٨١/٣.
٩- محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ١١٧/١.
١٠- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: مفردات غريب القرآن: ٥٩٨ (عون).
١١- البيان في تفسير القرآن: ٥١٢.
١٢- الكليني: الكافي ٤٨٠/٣ باب (صلاة من خاف مكروهًا) الحديث ١.
١٣- الكليني: الكافي ٨٧/٢ باب (من بلغه ثواب من الله على عمل) الحديث ٢.
١٤- الحراني، الحسن بن شعبة: تحف العقول عن أخبار آل الرسول ﷺ.

اللطف الإلهي

-١-

الشيخ أحمد عبدالله التماوي

من المواضيع القيمة في الساحة القرآنية هو موضوع (اللطف) وقد أخذ حيزاً كبيراً في البحث عن ماهيته وأهميته، واللطف له علاقة وثيقة ببحث العدل الإلهي، حيث إن مَنْ يوجب فعل الطاعة ويوجب ترك المعصية فإنه لا يخلو عن اللغوية والظلم ولا يدخل في العدل إلا بوجوب اللطف منه سبحانه لعباده، وأيضاً إذا أوجب الله تعالى شيئاً أو أمر بترك أمر معين فإنه إن لم يفعل ما يقرب العبد إليه أو يبعده عنه إن كان حراماً كان لغواً، أو كان إغراءً بالمعاصي، وكله قبيح.

وبيان الشرطية: إن الله تعالى لما ألزم عباده فعل الطاعة وترك المعصية فإن ذلك إما أن يكون بشيء يقربهم إليها، ويكونوا أقرب إلى الطاعة وأبعد عن فعل المعصية أو لا.

فإن كان الأول: وهو المطلوب، وذلك أن الله لم يترك عباده هملًا كالإبل السائمة، وهذا مصداق من مصاديق العدل الإلهي، والذي تعريفه: هو (تنزيه الباري تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب)[١].

وكذا لما كان القبيح قبيحاً في نفسه فإن الإخلال بما يقرب العباد إلى الطاعة قبيح، إذ في ذلك إغراءٌ بالقبيح، ويكون العبد أقرب إلى المعصية وفي معرضه، وهذا خُلْفُ كونه مخلوقاً للطاعة والعبادة، فإذن اللطف واجب من الله تعالى وهو المطلوب.

وإن كان الثاني: كان تعريض المكلفين للطاعة أمر لغوي، واللغو قبيح، وهو منفي عنه تعالى؛ لأنه تعالى عادل، وعدله أنه منزه عن فعل القبيح والإخلال بالواجب، إذن ثبت المطلوب.

تقسيم اللطف

واللطف قد يكون من الله تعالى شأنه، وقد يكون من المكلف، وقد يكون من غيرهما، ولاشك أن اللطف الذي هو من فعل الله فهو واجب منه تعالى، كإرسال الأنبياء عليهم السلام، وتعيين الشرايع والبعث، وأما من المكلف نفسه فهو واجب أيضاً من الله تعالى بأن يُشعر المكلف به ويوجبه عليه كتعلم العقائد الحقة مثلاً، وقد يكون من غيرهما ـ أعني عن غير الله تعالى وعن نفس المكلف ـ كالمباشِر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكطالب العلم الذي يتعلم المسائل الفقهية من أجل تعليمها للغير من المكلفين، فإن الله تعالى يوجب طلب العلم على من هو أهل لذلك ليكون تعليمه للمكلفين لطفاً يقربهم إلى الله تعالى بإعلامهم إياها، ويكونوا أبعد عن المعصية بنهيه لهم، وكلامنا في اللطف الذي هو واجب من الله تعالى، وبدوره ينقسم إلى قسمين: إلى مقرِّب ومحصِّل:

أما اللطف المقرِّب

و(هو ما يكون المكلف معه أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية ولم يكن له حظ في التمكين ولم يبلغ حد الالجاء)[٢].

وهذا القسم واضح مما سبق الكلام فيه، فإن هذا القسم من اللطف لا يعني جعل العبد مضطراً إلى الفعل طاعة كانت أو معصية وإلا كان جبراً وهو ممنوع عقلاً.

آيات وروايات في اللطف المقرب

إن في اللطف المقرب معنى التقرب والقربية منه تعالى من جانب المكلف أنه يكون أقرب إلى طاعة الله سبحانه وذلك بإعلام المكلفين بالثواب والعقاب والوعد والوعيد، والجنة والنار وكذا السعادة والشقاوة، والابتلاءات والآلام والأمراض والأسقام وغيرها مما يقرب العبد ويذكره بالله تعالى، والآيات كثيرة جداً في هذا الصدد ومنها: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ

١- شرح الباب الحادي عشر، للمقداد السيوري الحلي، ص٥٩، الفصل الرابع في العدل

٢- كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة الثانية عشرة في اللطف وماهيته.

٣- سورة الليل: الآيات ٥-١٠.

نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٤]، وغيرها.

وما جاء في الروايات كثير أيضاً ومن ذلك

عن أبي عبد الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونوا آخذين ولا تاركين إلا بإذن الله)[٥].

وعن أبي جعفر ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا غتَّه بالبلاء غتًّا، وثجَّه بالبلاء ثجًّا، فإذا دعاه قال : لبيك عبدي لئن عجلت لك ما سألت إني على ذلك لقادر، ولئن ادخرت لك فما ادخرت لك فهو خير لك)[٦].

وعن أبي يحيى الحنَّاط عن عبد الله بن أبي يعفور قال: شكوت إلى أبي عبد الله ﷺ ما ألقى من الأوجاع وكان مسقامًا فقال : (لي يا عبد الله لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنى أنه قُرِّض بالمقاريض)[٧].

وعن أبي عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليتعهد عبده المؤمن بأنواع البلاء كما يتعهد أهل البيت سيدهم بطرف الطعام. ثم قال : ويقول الله جل جلاله: وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي إني لأحمي وليي أن أعطيه في دار الدنيا شيئاً يشغله عن ذكري، حتى يدعوني فأسمع صوته)[٨].

وعن زرارة عن أبي عبد الله ﷺ قال: (ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث ، وربما اجتمعت الثلاث عليه: إما أن يكون معه في الدار من يغلق عليه الباب يؤذيه ، أو جار يؤذيه ، أو شيء في طريقه وحوائجه يؤذيه، ولو أن مؤمنا على قلة جبل ليبعث الله عليه شيطانًا ويجعل له من إيمانه أُنسًا لا يستوحش إلى أحد)[٩].

٤- سورة الكهف: الآيات ٢٩-٣١.
٥- توحيد الصدوق: ح١، باب بطلان الجبر في أفعال العباد وثبوت أمر بين الأمرين.
٦- الكافي، للكليني: ٢/٢٥٣/الحديث٧.
٧- الكافي، للكليني: ٢/٢٥٥/الحديث١٥.
٨- كتاب التمحيص، لمحمد بن همام الإسكافي، باب سرعة البلاء إلى المؤمنين، ح١٧.
٩- (كتاب التمحيص، لمحمد بن همام الإسكافي، باب سرعة البلاء إلى المؤمنين، ح٢٨)، والروايات كثيرة فوق حد الإحصاء.

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ

البيت معروف، والجمع بيوت وأبيات[1]، والخيمة، هي بيت من بيوت الأعراب[2]، والغرفة : بيت فوق بيت[3]. الآية الكريمة من سورة النور، تتحدث عن البيوت التي يجب أن ترفع، ويرشدنا جوُّ الآية الكريمة إلى أن هناك بيوتاً يجب أن تهان، وأن هناك من البيوت لا تكون من التي ترفع ولا من التي تهان. ثم إن البيت قد يضاف إلى اسم أو صفة أو من يسكن ويستقر فيه من الأشياء، يميزه عن غيره من البيوت، كما يقال بيت الله الحرام، وبيت العلم، وبيت الفضل، وبيت الزوج، وبيت المال، و بيت العنكبوت، وبيت الحمام، والمعدة بيت الداء، إلى غير ذلك من الألفاظ.

الآية الكريمة نزلت في مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة، وفي وقت نزولها وقراءتها من قبل رسول الله ﷺ، قام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ قال بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر، فقال : يا رسول الله هذا البيت منها - لبيت علي وفاطمة - ؟ قال نعم، من أفاضلها[4] .

الرؤيا الأولى

يستفاد مما ذكره المفسرون من تفسير الآية الكريمة، في الأخبار الواردة عن النبي الأعظم ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام، أن البيوت التي يجب أن ترفع هي:

* المساجد[5]، عن النبي ﷺ: (المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض)[6].

* بيوت الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين)، فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ: قال رسول الله ﷺ: هي بيوت الأنبياء[7]. ومنها:

١- بيوت النبي ﷺ، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ)، قال : هي بيوت النبي ﷺ[8] .

٢- بيوت الأوصياء عليهم السلام، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) قال: هي بيوت الأنبياء، وبيت علي عليه السلام[9]. بضميمة آية التطهير، و عنه عليه السلام: إن قتادة قال له: والله لقد جلست بين يدي فقهاء وقدامهم فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك، فقال له: أتدري أين أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع إلى آخر الآية فأنت ثمة ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين، يسبح له فيها بالغدو والآصال، وعن الباقر عليه السلام، هي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى عليهم السلام[10].

والحقيقة بعد استعراض الآراء تكونت لدي الرؤيا الأولى وهي: إن البيوت التي أذن الله أن ترفع هي مطلق بيوت المعصومين عليهم السلام، ومطلق المساجد - إلا المساجد التي أسست على غير التقوى كمسجد ضرار الذي بناه المنافقون للترصد بالمسلمين ومحاربتهم- وذلك لعدم انقطاع ذكر الله تعالى فيهما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنهما يُذكران بالله تعالى بالنظر أو الفكر.

إن هذه البيوت في المجتمع هي بيوت هدى وفكر وإرشاد وتوجيه نحو مصوبات الأمور الدنيوية، والتي تكون سببا لعمارة الآخرة.

الرؤيا الثانية

إن هناك بيوتا يجب أن توضع وتهان، لأنها موطن الشيطان وجنوده من الإنس والجن، وهي بعيدة كل البعد عن ذكر الله تعالى، وإليها تنسب الرذيلة، والفحشاء والفجور، ومن هذه البيوت :

بيوت أعداء الأنبياء والأوصياء، كما أن بيوت الأنبياء بيوت هداية، فإن هذه البيوت بيوت ضلالة ودجل ونفاق، ففيها تؤسس

١- الصحاح: الجوهري، ٢٤٤/١.
٢- العين: الفراهيدي، ٣١٦/٤.
٣- المصدر نفسه.
٤- النفي والتغريب: الشيخ نجم الدين الطبسي، ص٣٥٨.
٥- ينظر: المبسوط السرخسي ٢٠٦/١، و ١٦٩/٨، وبدائع الصنائع: لأبي بكر الكاشاني: ١١٦/١، والجوهر النقي: الماردين: ٢٧٠/٨.
٦- بحار الانوار: المجلسي: ٣٢٦/٢٣.
٧- تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، ص٢٨٧.
٨- الكافي: الشيخ الكليني: ٣٣١/٨.
٩- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي: ١٠٤/٢.
١٠ - التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٤٧/٣.

برامج الحقد والعداء للأنبياء والأوصياء والأولياء، فيها يبتدع مناهج عرقلة المشاريع الإلهية والحيلولة دون إرسائها بين الناس..

بيوت الدعارة والبغاء، فلا تجد فيها إلا الفجور والفحشاء، وكذلك بيوت الخمر، وهي البيوت التي يرتادها شاربوا الخمر، وفيها قد ينسى العبد أنه مسلم، وأنه يفتخر بأنه يساوي المشرك في احتسائه الخمر، وهذا حال بيوت الملاهي والطرب والغناء، فإنها كسابقتها ليس فيها إلا اللغو والتأثيم، والفحشاء والفجور، وأصحابها في لهو مستمر، معرضون عن ذكر الله العلي العظيم.

بيوت ليس فيه ما ذكر أعلاه من فواحش وآثام، وإنما هي بيوت خالية بالية خاوية، بيوت غابت عنها القيم والأخلاق والإنسانية، بيوت واهية كبيت العنكبوت، أصحابها لا يقيمون الصلاة، ولا يعرفون الصيام، ولا يأتون الزكاة، ولا يأدوا فريضة، ولا يعرفون حقا، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[11]، جل همهم جمع المال والعيش برغد، ويدعون الإسلام ولم يقرؤوا آية من القران الكريم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: في حديث له يصف هذه البيوت: (.. وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين)[12]. بل هم الشياطين، كبيرهم لاهي، وصغيرهم قاني، رجلهم طروب وامرأتهم لعوب.

الرؤيا الثالثة

الإذن برفع البيوت يفهم منه الوجوب لا الجواز، وحصرًا في بيت المعصوم عليه السلام.

أما الرفع فيمكن أن يكون على وجهين :

الأول: أن تبنى، وترفع بالبناء، ونظافته، وفرشه، وإسراجه، ويعضد هذا الرأي، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾[13].

وأجر بناء المساجد عظيم، كما هو واضح في قول الإمام الصادق عليه السلام: (من بنى مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنّة)[14]، و كذلك المساهمة في ديمومة عمارتها، قال النبي صلى الله عليه وآله: (من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجا، لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء من السّراج)[15]

الثاني: المراد بالرفع تعظيمها، ورفع قدرها ومنزلتها، لأنها تنيب إلى الله تعالى، ويأتي التعظيم بكثرة التردد إليها، والاشتغال بالعبادة؛ لأنها مواضع الصلوات، ومواطن العبادة والذكر، ويعضد هذا الرأي، قوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[16]، وعلى هذا الرأي أن يترك المؤمن الأعمال الدنيوية، وأن يكثر فيها ذكر الله تعالى، ومعرفة أمور عقيدته وأحكام دينه، والاشتغال بقراءة القرآن والأدعية، تاركًا القيل والقال، والتعرض للآخرين، وأن لا يجعل المسجد أو بيوت النبي صلى الله عليه وآله، كبيوت الآخرين، فبيته وبيوت أوصيائه (صلوات الله عليهم أجمعين)، بيت مهبط الأملاك والوحي، بنور المصطفى والبضعة وعلي، يزهر في السماء بيت النبي، وأنوار الفرقدين والسجاد علي، والباقرين والكاظم والرضا علي، والجواد والهادي وشبل علي، والقائم بالحق والعدل مضي، طاهر بعد طاهر ونقي، وصالح يردف صالحا وتقي، وولي بعد ولي وصفي، هم الخلفاء أولاد علي، عدل القرآن آل طه النبي.

١١- سورة الفرقان: الآية ٤٤

١٢- الكافي: ٢/٦١٠.

١٣- سورة البقرة: الآية ١٢٧.

١٤- منتهى المطلب: العلامة الحلي، ٦/٣١٩.

١٥- المقنع: الشيخ الصدوق، ص٨٩.

١٦- سورة النور: الآية ٣٦.

سورة الطارق

مكيّة
وآياتها سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَ السَّماءِ وَالطَّارِقِ (١) وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ (٩) فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ (١٠) وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَما هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (١٥) وَأَكِيدُ كَيْداً (١٦) فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (١٧)

الإعراب

﴿وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ﴾ (الواو) حرف قسم وجر، و(السماء) مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، و(الطارق) قسم أيضًا منسوق على ما قبله و(الواو) حرف عطف، و(ما) اسم استفهام مبتدأ، وجملة (أدراك) خبرها و(ما) اسم استفهام و(الطارق) خبرها والجملة المتعلقة بالاستفهام سدَّت مسدَّ مفعول أدراك الثاني و(النجم) بدل من الطارق، أو خبر لمبتدأ محذوف كأنه جواب للاستفهام الوارد قبله تفخيمًا له، وجملة (إن كل نفس لما عليها حافظ) لا محل لها من الإعراب لأنها جواب القسم وما بين القسم وجوابه اعتراض، و(إن) بالتخفيف نافية، و(كل نفس) مبتدأ، و(لما) بالتشديد بمعنى إلا، و(عليها) خبر مقدّم، و(حافظ) مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر كل.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ؟ خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ﴾ (الفاء) الفصيحة و(اللام) لام الأمر، و(ينظر) فعل مضارع مجزوم باللام، و(الإنسان) فاعل، و(ممّ) من حرف جر وما اسم استفهام في محل جر بمن وقد تقدم أن ما الاستفهامية قد يحذف ألفها إن سبقها حرف جر والجار والمجرور متعلقان بخلق، وجملة (خلق) في موضع نصب بقوله فلينظر المعلّق عنها بالاستفهام، وجواب الاستفهام خلق من ماء، وجملة (خلق من ماء دافق) مستأنفة كأنها جواب سؤال مقدَّر، و(خلق) فعل ماض مبني للمجهول، و(من ماء) متعلق بخلق، و(دافق) نعت لماء أي مدفوق أو هي من صيغ النسب، أو هو مجاز بالإسناد فقد أسند إلى الماء ما لصاحبه مبالغة وجملة (يخرج) نعت ثان، أو حالية و(من بين الصلب) متعلقان بيخرج، و(الترائب) عطف على الصلب.

﴿إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ﴾ (إن واسمها وعلى رجعه) متعلقان بقادر، والضمير في إنه يعود على الله واللام المزحلقة و(قادر) خبر إن، و(يوم) بظرف متعلق برجعه، ولا يصحُّ تعليقه بقادر، لأنه تعالى قادر على رجعه في كل وقت من الأوقات ولا تختص قدرته بوقت دون وقت، وقيل هي معمول لمحذوف تقديره يرجعه يوم، أو أذكر يوم ولعله أولى، وقال بعضهم متعلق بناصر وهو فاسد؛ لأن ما بعد ما النافية وما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلهما، و(الفاء) عاطفة و(ما) نافية و(له) خبر مقدّم و(من) حرف جر زائد و(قوة) مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر، و(الواو) حرف عطف، و(لا) نافية و(ناصر) عطف على قوة، وجملة (تبلى السرائر) في محل جر بإضافة الظرف إليها و(السرائر) نائب فاعل تبلى.

﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ﴾ (الواو) حرف قسم وجر، و(السماء) مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، و(ذات الرجع) نعت للسماء، و(الأرض ذات الصدع) عطف على الجملة المتقدمة.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَما هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب القسم وإن واسمها واللام المزحلقة وهي للتوكيد و(قول) خبر إن، (فصل) نعت لقول، و(الواو) حرف عطف و(ما) حجازية تعمل عمل ليس وهو اسمها، و(الباء) حرف جر زائد، و(الهزل) مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر ما.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال نشأ من فحوى الكلام كأنه قيل وماذا تتسمى مكابرتهم وعنادهم فقيل إنهم، و(إن واسمها وجملة يكيدون) خبرها و(كيدًا) مفعول مطلق، و(الفاء) فصيحة أي إن شئت أن ترى مغبة أمرهم فلا تستعجل بالانتقام منهم، و(مهل) فعل أمر، و(الكافرين) مفعول به و(أمهلهم) كرر فعل الأمر تأكيدًا لرسوله وزاد في الصيغة لزيادة تسكين قلبه وتصبيره، و(رويدًا) نصب على المصدر، والأصل إروادًا فهو تصغير ترخيم بحذف الزوائد، وفي المختار: (وفلان على رود بوزن ود أي على مهل وتصغيره رويد ويقال أرود في السير إروادًا ومرودًا بضم الميم وفتحها أي رفق وتقول رويدك أي أمهله وهو مصغر تصغير ترخيم من إرواد مصدر أرود يرود)، وعبارة السمين: (اعلم أن رويدًا يستعمل مصدرًا بدلًا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله فضرب الرقاب، ولا يضاف أخرى نحو رويدًا زيدًا ويقع حالًا نحو ساروا رويدًا أي متمهلين ونعتًا لمصدر محذوف نحو ساروا رويدًا أي سيرًا رويدًا) هذا وتأتي رويد زيدًا اسم فعل بمعنى أمهله وهو مشتق من مسمَّاه الذي هو أرود وأصله المصدر الذي هو إرواد وصغّر بحذف الزوائد تصغير الترخيم ومثله تيد زيدا في معنى رويد زيدا، والذي نراه أنه إن أضيف فهو اسم فعل أمر مبني على الفتح ولا محل له من الإعراب وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت فإن نوَّنته نحو رويداً أخاك أو أضفتهما نحو رويد أخيك فهو حينئذ منصوب على المفعولية المطلقة.

المصدر: إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين الدرويش ج ١٠، ص: ٤٤٢ ٤٤٣: ٤٤٤.

سورة العاديات

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا - فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا - فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا - فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا - فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا - إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ - وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ - وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ - أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ - وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ - إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)

الشيخ نجم الدراجي

تبدأ السورة المباركة بالقسم الإلهي، والقسم عادة يكشف عن أهمية المقسوم به، والمقسوم عليه، وهو في السورة المباركة كفران الإنسان الكافر، أو غير الشاكر لنعم ربه، وحبُّه الشديد للمال الداعي لذلك الكفران، مع علمه بنشره وحشره وحسابه الداعي للبذل في سبيل الله، والعجيب أن القسم بأنعام يستخدمها أصحابها في طاعة الله، فالحلف بهذه الأنعام لا براكبيها وهم المطيعون لله، وقد اختلف المفسرون في تشخيص هذه الأنعام فمن قائل: إنها الإبل التي يستخدمها الحاج في حجِّه متنقلاً من مشعر إلى آخر، لكن المواصفات التالية لا تلائم ذلك إلا بتكلُّف، والرأي الأصح إنها خيل المجاهدين في سبيل الله، ويعضد ذلك أسباب النزول؛ فإن السورة نزلت في وقعة ذات السلاسل، والتي انتصر بها المسلمون بقيادة أمير المؤمنين عليه السلام، إذ سار الجيش في الليل وباغت العدو صباحاً، وفي السورة وصف لذلك ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، والعاديات جمع العادية، وهي الراكضة والجارية بسرعة حتى تصل إلى حد التنفُّس بشدة من جراء الركض السريع، ونتيجة ذلك أن تصطك حوافر الخيل بصخور الأرض أو حصاها أو حجارتها فتحدث نارًا ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾، والموريات هي المضرمات النار، والقدح ضرب شيء بشيء آخر لتوليد النار، وكلُّ ذلك يدل على سرعة الخيول، بل سرعة راكبيها لمواجهة العدو، ونفهم أن السير محله الليل من الجملة التالية ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾، والمغيرات بمعنى الهاجمات على العدو، وكون ظرفه الصباح فيه عنصر المباغتة للعدو، وسرعة خاطفة قبل أن يتهيأ للمواجهة ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾، والإثارة بمعنى التهيُّج، والنقع هو الغبار، فهياج الغبار الكثير المفاجئ يدخل الرعب في قلب العدو، خاصة إذا تفاجأ بدخول جحافل المجاهدين، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، مما يعني وصول الخيول والفرسان إلى وسط العدو، فيشتت صفوفه ويقتل المقاتلين ويأسر الباقين، وكل ذلك يحتاج إلى بذل النفس والنفيس، مما يجعل مناسبة بين القسم بالخيول، ونسبة البخل إلى الإنسان الكافر، أو العاصي، فعليهم أن يكونوا مثل هذه الخيول، والتي تجري وبسرعة إلى طاعة الله ورضاه، فضلاً عن المجاهدين وهم أصحاب وراكبو هذه الخيول، وعلى كل حال فإن المقسوم عليه هو نسبة البخل إلى الإنسان، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ والكنود هو الجحود الذي لا يشكر النعم، ومن مصاديق عدم الشكر البخل بمنع الحقوق الواجبة، وأصل كلمة الكنود تطلق على الأرض التي لا تنبت شيئاً، والملاحظ أن القرآن يصف بعض جوانب الضعف الإنساني عندما لا يرتبط الإنسان بالله سبحانه، فيصف الإنسان بالظلوم والجهول والهلوع والكفور وغير ذلك، بينما نجده يصف الإنسان في جانب اتصاله بالله وطاعته له بأنه المكرَّم عند الله، والمفضَّل عنده، والمخلوق بأحسن تقويم، المنفوخ فيه من روح الله، ولا تناقض بين هذه الصفات، فكلٌّ يتحدث عن مجموعة غير المجموعة التي تتحدث عنها الصفات الأخرى، والإنسان حتى المنحرف يعرف إلى أي المجموعتين ينتمي، فلذلك نصَّت السورة على ذلك ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، وإن كان بعض المفسرين يرون أن الهاء في ﴿وَإِنَّهُ﴾ تعود إلى الله سبحانه، ولا شكَّ أن الله عالم بالكنود، ولكن ليس في ذلك حجة على الجاحدين الكنودين والذي سبَّب وصولهم لهذا حبّ الدنيا ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، والخير هنا هو المال، فسبب كفران النعم هو التعلق الشديد بالمال والدنيا، مما يسبب كفران النعمة، ثم تستفهم السورة استفهاماً استنكارياً لفعل هؤلاء بل ويهدِّدهم ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾، والبعثرة هي: الإخراج، والمعنى هنا إخراج من القبور ببعث الموتى إلى الحساب، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ والتحصيل: هو إخراج اللب من القشر، وتعني هنا فصل الشاكر للنعم عن الكافر لها، أو الصفات الحسنة السيئة، وكلُّ ذلك الفصل يتم بعلم الله سبحانه المحيط بكل شيء، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ ولو علم كل الناس بهذه الإحاطة العلمية وعملوا على وفق تعاليمه تعالى ما كان هناك كفران للنعم الإلهية.

ينظر:
الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي ، ٣٤٨/٢٠
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ٤٠٢/٢٠

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]

إن في كل مجتمع يوجد الأغنياء والفقراء، تبعاً لتفاوت قابليات الناس واستعدادهم وقوتهم وتدبيرهم، وقد وضع الإسلام الخطط اللازمة لرفع المستوى المعيشي لطبقة الفقراء، وذلك بفرض ضرائب واجبة وأخرى صدقات مستحبة، يجمعها عنوان (الإنفاق في سبيل الله)، وهو من الإعمال التي وعد الله سبحانه ثوابها بالجزاء المضاعف قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[2]، والملاحظ أن الآية الكريمة تعتبر الإنفاق هو إقراض ولمن؟ لله سبحانه الغني المطلق، فالمنفق لا يعطي للفقير، بل يعطي لله سبحانه، وهو غير محتاج ذلك، قال رسول الله ﷺ: (إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل)[3]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (استقرضكم وله خزائن السماوات والأرض)[4]، ويترتب على هذا الإقراض المضاعفة ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، وتنكير هذه الإضعاف وكثرتها دلالة على عدم الإحاطة بها، والآية المباركة محل البحث تضرب مثلاً لبيان هذه المضاعفة، والجامع المشترك بين الآيات الحاثة على الإنفاق، أو التي تذكر ثوابه وما يترتب عليه من آثار في الدنيا والآخرة، إن الإنفاق لا بد أن يكون مقيداً بقيد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأن كل داعٍ للإنفاق غير ذلك من حب شهرة أو سمعة أو رياء أو حتى بدفاع العطف على الفقير وانكسار القلب لذلك، فكل هذه الدوافع وغيرها من غير داعٍ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا نتيجة لهذه العوامل والدوافع ولا قيمة للعمل النابع منها، وقد يتوهم بعضهم أن (الإنفاق في سبيل الله) هو الإنفاق على متطلبات الجهاد والمجاهدين خاصة، لكن الإنصاف إن الآية مثلما تشمل هذه الحالة، فانها تشمل كل مصارف الخير وكل ما فيه نفع المجتمع ورضا لله، والتشبيه الوارد في الآية المباركة، هو أما تشبيه حال المنفق بزارع الحبة، أو هو تشبيه للإنفاق بالحبة المزروعة، وعلى كل فإن الحبة وهي صغيرة الحجم لكن الله سبحانه ينميها، وحسب نية المتصدق، ودرجة إخلاصه، إلى ثلاث مستويات :

١- السبعمائة ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ﴾ وقد ذهب بعض المفسرين الى خيالية هذا المثل وعدم واقعيته، بينما أصر أخرون على أنه ليس خيالياً بل هو ممكن بل واقع.

٢- مضاعفة السبعمائة ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ والمشيئة الإلهية لا تقع جزافاً واعتباطاً، بل كل ذلك بعلم وحكمة وعدل.

٣- الأضعاف التي لا يعلمها إلا الله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فبعلمه سبحانه يعرف المستحق للمضاعفة أولاً، ودرجة المضاعفة ثانياً، ووصف الله سبحانه بالواسع وهو الذي لا حد لجوده وكرمه، فيها دلالة على المضاعفة التي لا يعلمها إلا الله سبحانه.

١- سورة البقرة: الآية ٢٦١.
٢- سورة البقرة: الآية٢٤٥.
٣- الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني، ٣٥٨/٨.
٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٠ /١٢٥.

ينظر
الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي٢/ ٣٨٨
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازى ٢٩٥/٢

بحث مقتبس من كتاب
(القرآن والعلم الحديث- The Quran and Modern Science)

علم الفلك

بقلم: موريس بوكيل
ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

كلما ذكرت لبعض الغربيين التفاصيل التي يحويها القرآن التي تبحث نقاطاً في علم الفلك، يبادر أحدهم بالجواب أن ليس في الأمر ما يدعو للاستغراب لأن العرب سبقوا الأوروبيين بزمن طويل باكتشافات مهمة في علم الفلك؛ إلا أن هذه الفكرة مغلوطة ومنشؤها الجهل بالتاريخ، ففي المقام الأول، نجد أن العلم شهد تقدماً في العالم العربي بعد مدة طويلة من نزول القرآن، ثانيا، إن العلوم التي كانت سائدة في أوج الحضارة الإسلامية لم تكن لتتيح لأي إنسان أن يكتب عن السماوات في قبال ما يذكره القرآن عنها، وأنا أجد أن المادة العلمية في هذا الموضوع كبيرة جداً لا يمكنني معها هنا إلا أن أختصر.

الشمس والقمر

في الوقت الذي يتحدث الإنجيل عن الشمس والقمر على أنهما نوران مختلفان حجماً، يميز القرآن بينهما باستخدام مصطلحين مختلفين: فـ(النور) للقمر و(السراج) للشمس، ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[1] فالقمر جرم غير مضيء يقوم بعكس الضوء، بينما الشمس جرم سماوي في حالة احتراق دائم يطلق الضوء والحرارة.

النجوم والكواكب

إن كلمة (نجم) التي وردت في القرآن في سورة الطارق: الآية٣، كانت مصحوبة بصفة (ثاقب) التي تشير إلى أنه يحترق ويستهلك نفسه عند اختراقه لظلمات الليل، ولم يكتشف إلا بعد وقت طويل أن النجوم هي أجرام سماوية تنتج الضوء كما الشمس، كما إن في القرآن كلمة مختلفة وهي (كوكب) استعملت للإشارة إلى الجرم السماوي الذي يعكس الضوء ولا ينتج الضوء بنفسه كما هو الحال في الشمس، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[2].

المدارات الفلكية

لقد عرف العالم اليوم القوانين التي تحكم المنظومات السماوية، فالمجرات في حالة توازن بفضل مواقع النجوم، والكواكب في مدارات محددة، إضافة إلى قوى التجاذب ما بين كتلها وسرعة حركاتها، أليس هذا ما وصفه القرآن بعبارات لم تصبح مفهومة إلا في زماننا الحاضر، ففي سورة الأنبياء نجد: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

١- سورة نوح: الآيتان ١٥-١٦.

٢- سورة الصافات: الآية٦.

وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٣]، إن الكلمة العربية التي تعبر عن هذه الحركة هي (يسبحون)، وهي مفهوم يشير إلى حركة الجسم المتحرك وكأنه سباحة في الماء، وفي هذه الحالة لا يمكن تفسيرها إلا بالسير بحركة ذاتية، وفي كتابي الذي ألفته بعنوان (الإنجيل والقرآن والعلم)، قدمت البيانات العلمية الدقيقة التي تتوافق مع حركة الأجرام السماوية، فهي معروفة بالنسبة للقمر، لكنها غير معروفة على نطاق واسع بالنسبة للشمس.

النهار والليل

قد يكون الوصف القرآني لتعاقب النهار والليل في حد ذاته مألوفاً إلى حد ما، لولا أنه عبَّر عنه بألفاظ تعدُّ شديدة التطابق في عصرنا هذا، فالقرآن يستخدم الفعل (كوَّر) في سورة الزمر ليصف الطريقة التي "يلفُّ" الليل نفسه حول النهار، والنهار نفسه حول الليل، ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[٤] والمعنى الأصلي للفعل مستخدم للفِّ العمامة حول الرأس، وهي مقارنة مواتية تماماً، على أن البيانات الفلكية اللازمة لإجراء تلك المقارنة يوم نزول القرآن لم تكن متوافرة، فلم يظهر النصف المظلم من الكرة الأرضية يلفُّ نفسه على الضياء، والنصف المضاء منها يلف نفسه على الظلمة إلا بعد أن هبط الإنسان على القمر وشاهد الأرض وهي تدور حول محورها.

قبلة الشمس

وصفت سورة (يس) في القرآن فكرة محل استقرار الشمس وصفاً حياً عندما قالت: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٥] كلمة (مستقَر- بفتح القاف) تشير إلى مكان وزمان محددين بشكل دقيق، ويؤكد علم الفلك الحديث أن المنظومة الشمسية فعلاً تتحرك مكانياً بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية الواحدة باتجاه نقطة تقع في كوكبة الجاثي (النسر الواقع) والتي تم احتساب موقعها بدقة كبيرة وقد أطلق عليها الفلكيون اسم (قبلة الشمس).

توسع الكون

يبدو أن سورة الذاريات في القرآن تشير إلى واحد من أروع الاكتشافات في العلم الحديث، وهو توسع الكون، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٦]، طرح مفهوم توسع الكون لأول مرة في النظرية النسبية العامة وأيدتها حسابات الفيزياء الفلكية، فقد فُسِّرت الحركة النظامية لضوء المجرة الذي يتجه نجو المقطع الأحمر من الطيف على أنها المسافة التي تبتعد بها مجرة عن مجرة أخرى، وعليه فإن من الواضح أن حجم الكون يتسع باطراد.

غزو الفضاء

من بين الإنجازات التي حققها العلم الحديث هو غزو الفضاء الذي نتج عنه رحلة الإنسان إلى القمر، وينقدح التنبؤ بهذا الحدث في الذهن بمجرد قراءة سورة الرحمن في القرآن حيث تقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[٧]، والسلطان أو الصلاحية في السفر في الفضاء لا يمكن أن يأتيا إلا من الذي خلق القوانين التي تحكم الحركة والفضاء، والسورة القرآنية هذه بأكملها تدعو البشرية إلى الإقرار بآلاء الله تعالى.

٣- سورة الأنبياء: الآية٣٣.
٤- سورة الزمر: الآية٥.
٥- سورة يس: الآية٣٨.
٦- سورة الذاريات: الآية٤٧.
٧- سورة الرحمن: الآية٣٣.

المصدر: https://www.whyislam.org/submission/the-holy-quran/the-quran-and-modern-science -3/

الأستاذ يحيى الصحاف

بين كفتين من الإبداع (تحليل الأصوات وبراعة الإعلام)

حاوره: رعد عبدالله التميمي

البطاقة الشخصية

يحيى محمد علي حسن الصحاف الخفاجي من مواليد محلة الشيوخ في الكاظمية المقدسة (١٩٧٦م) متزوج وله ثلاثة أولاد، أكمل الابتدائية في مدرسة قريش، ثم المتوسطة في متوسطة الفجر، ثم الإعدادية في إعدادية الكاظمية ثم البكالوريوس في كلية أصول الدين/ قسم علوم القرآن/ جامعة بغداد.

البداية القرآنية

نشأ يحيى الصحاف بين أحضان أسرة عريقة من أسر مدينة الكاظمية المقدسة، المعروفة بالفضل والتدين والالتزام الديني، الدؤوبة على إقامة المجالس والمحافل القرآنية بين أنظار ومتابعة عميدها الحاج محمد علي الصحاف، الذي كان مولعاً بسماع القرآن الكريم، مؤثراً بأولاده، من خلال سلوكه المتزن وحثهم على الالتزام بالتعاليم الدينية سيما القرآن الكريم والخط الحسيني المشرق، ومنها كانت بداية ضيفنا الصحاف الحثيثة واستماعه لكبار قرّاء العالم الإسلامي كالشيخ المنشاوي والشيخ عبد الباسط وغيره من القرّاء فأولع منذ صباه بعملية الانسجام النغمي والصوتي الذي كان ينتهجه القرّاء فكانت له تجارب عدة على الصعيد الأدائي إلا أنه اكتفى بأن يكون أستاذاً لمنهج الصوت القرآني سالكا طريق القرآن الكريم عبر دخوله عدة دورات في التلاوة والتجويد والصوت والنغم ليحصل على إجازات عدة من كبار مقرئي وأساتذة القرآن الكريم.

الدروس والدورات والندوات

* الدورة المنهجية الأولى في أحكام التلاوة والتجويد على يد الشيخ مضر الصحاف عام (٢٠٠٤م) والتي كان أمدها ستة أشهر، ولعل أخذه بعض الدروس القرآنية في تسعينيات القرن الماضي على يد الشيخ عباس الشامي هي الأهم في حياته قبل هذه الدورة الممنهجة.
* الدورة المنهجية في الصوت والنغم في المؤسسة القرآنية العراقية على يد الأستاذ (إبراهيم السالم) عام (٢٠٠٥م).
* مجموعة من الدروس في النغم العراقي على يد الأستاذ الحاج (صاحب العطار) عام (٢٠٠٥م).

نشاطه التدريسي

* أستاذ مادة الصوت في دورات عدة مكثفة للخطباء والمبلغين في جامعة المصطفى العالمية / فرع الكاظمية المقدسة عام (٢٠١٢م).
* أستاذ مادة الصوت في دورة (الشيخ عبد الزهراء الكعبي) للخطباء والمبلغين الخاصة بمؤسسة المنبر (٢٠١٤م).
* أستاذ مادة أحكام التلاوة والتجويد في المؤسسة القرآنية العراقية (٢٠٠٧م).
* أستاذ مادة الصوت في المؤسسة القرآنية العراقية (٢٠٠٩م) والتي تعد هي الدورة الأولى في موضوع الصوت منفصلا عن النغم.
* أستاذ مادة الصوت في رابطة قرّاء النور القرآنية (٢٠١٠م).
* أستاذ الصوت في الدورة التطويرية

الثانيــة لأســاتذة مديرية القــرآن الكريم في هيئة الحشد الشعبي.

كما قدم عدد من المشاريع الناجحة منها:

* مشروع تدريس لوائح التحكيم الذي قدم للعتبة الحسينية المقدسة.

* مشــروع مســابقة الترتيل الأولى الذي أقامته العتبة الحسينية المقدسة.

الإجازات في القراءات

* أجــازه الأســتاذ عامــر ذنــون الحمــد بقــراءة عاصم براوييه حفص وشــعبة عام (٢٠٠٨م).

* أجازه الشــيخ محمــود الكرخي بقراءة (ســما) أبــو عمــرو البصــري وابــن كثير ونافــع عــام (٢٠٠٨م) كمــا أجــازه أيضا بقــراءة عاصم براوييه حفص وشــعبة عام (٢٠١٢م).

* أجــازه الأســتاذ ســامي الخفاجــي بالقراءات السبع ثم العشر عام (٢٠٠٩م).

* أجازه الشيخ عبد اللطيف العبدلي بقراءة عاصم الكوفي براوييه حفص وشعبة.

التحكيم في المسابقات القرآنية

جلــس على منصة التحكيــم في عدد غير قليــل مــن المســابقات الوطنيــة والمحليــة والدوليــة كمــا شــارك فــي تنظيــم وإدارة عــدد من مســابقات المؤسســة العراقية قبل انضمامــه لهــا كما يعــد أصغر حكــم مثل العراق في المسابقات الدولية.

* جلــس للتحكيــم لأول مــرة فــي مــادة الصوت في مسابقة مؤسسة المرأة العراقية عام (٢٠٠٦م).

* حكــم مــادة الصوت في مســابقة النور الأولى في مدينة الرحمانية (٢٠٠٨م).

* حكم مادة الصوت في المسابقة الوطنية الأولى فــي الطريقــة العراقيــة (٢٠٠٩م) التي أقامتها المؤسســة القرآنيــة العراقية ثم توالت عليه الدعوات للتحكيم في المسابقات القرآنية.

* المســابقة الوطنية الأولى لحفظ القرآن الكريــم التــي أقامتهــا المؤسســة القرآنيــة العراقية ضمــن فعاليات مهرجــان المبعث النبوي.

* المســابقة الوطنية الأولــى التي أقامتها اللجنــة العليا للقرآن الكريــم التابعة لمجلس الوزراء.

* حكم مادة الصوت في أغلب مســابقات المركز الوطني لعلوم القرآن (مسابقة النخبة الوطنية) وأغلب مســابقات مؤسســة شهيد المحراب.

* حكــم مــادة الصــوت في مســابقة إن للمتقين مفازاً العالمية لقناة الكوثر الفضائية الدورة الثانية (٢٠١٠م) وله فيها مشاركات عدة.

* حكم في أغلب مسابقات العتبة الحسينية المقدسة.

* حكم في أغلب مسابقات العتبة العباسية المقدسة.

* حكم في أغلب مســابقات مسجد الكوفة المعظم.

* حكم مســابقة هدى للمتقين التي أقامتها قناة كربلاء الفضائية.

* حكم مادة الصوت في المسابقة العالمية الــدورة الثامنة والعشــرون في طهران عام (٢٠١١م) التي تقيمها الجمهورية الإسلامية في إيران.

* حكم مادة الصوت في المسابقة العالمية الأولــى عــام (٢٠١١م) لمؤسســة نصــرة القرآن.

* حكــم مادة الصوت في مهرجان ســعيد بن جبير الدولي.

كما حكم عــدد كبير من المســابقات التي أقامتهــا الــوزارات والجامعــات العراقية، وزارة التعليــم العالــي، وزارة الصحــة، وزارة التربيــة، جامعــة بغــداد، الجامعــة المستنصرية، جامعة الكوفة.

العمل الإعلامي

أمــا الجانــب الآخــر مــن حيــاة ضيفنــا الصحــاف هو الجانــب الإعلامي من خلال إعــداده وتقديمــه لبرامج قرآنيــة تلفزيونية وإذاعيــة عدة تناول فيهــا تحليل حياة القرّاء الكبار وأخــرى في علــوم التجويد وأخرى عرف فيها ومضات مشرقة من تأريخ قرّاء وأســاتذة العــراق فــي الماضــي والحاضر ولعل مــن أهمهــا برنامج أصــوات وآيات مــع الأســتاذ إبراهيم الســالم خبير الصوت والنغــم القرآني والــذي حصل على إعجاب الكثيرين من داخــل العراق وخارجه ومنها إطراء وتقدير أسرة الشيخ الراحل مصطفى إســماعيل والشــيخ أحمــد شــبيب والشــيخ راغب مصطفى غلوش والشيخ الطاروطي وغيرهم من أكابر قرّاء العالم الإسلامي.

التلفزيونيـــــة

١- فهل من مدكر.
٢- خيركم من تعلم القرآن وعلمه.
٣- حلية القرآن.
٤- أصوات وآيات.
٥- قرآنيون.
٦- أحكام وأنغام.
٧- أمسيات رمضانية.
٨- أمسيات قرآنية.
٩- قرآن يتلى.

الإذاعيـــــة

١- أغاريد قرآنية.
٢- ما يطلبه المؤمنون.
٣- مع القرآن.
٤- أغاريد حسينية.
٥- مدير إذاعة آفاق لعام واحد.

له نشــاطات إعلامية أخــرى عن طريق إدارته لعرافة المحافل والمســابقات الوطنية والدولية.

إشادات بحقه

أشــاد بحقــه القــارئ الدكتــور (أحمــد نعينــع) قائــلا: مــا رأيــت مثله فــي حياتي يحلــل الأصــوات تحليلا علميــا وخبير في المســارات النغمية المختلفــة حيث أنه يدقق فــي اســتماعه للقــرآن الكريــم بالأصوات الجميلــة ولديــه معرفة فذة فــي فهمه لأدق التفاصيل الصوتية هنيئا له ولجمهور القرّاء في مختلف البلاد الإسلامية، كما أشاد بحقه القارئ الدكتور الشــيخ (فرج الله الشــاذلي) قائلا: بالــروح بالعقل بالوجدان بالمشــاهدة والاســتماع رأيــت أخــي الصحــاف محللا للأصــوات وإذا أردت التنغيــم القرآني فهو وإذا أردت حوارات إعلامية نافعة فهو وإن شــئت فقل إنه الموســوعة التــي جمعت كل أصناف الأصوات المختلفة.

العتبة الكاظمية

تشــرف بخدمة الإمامين الهمامين موسى والجواد عليهما السلام عــام (٢٠٠٦م - ٢٠٠٨م) من خلال انتسابه للعتبة الكاظمية المقدسة شعبة النشــاطات القرآنية حيث مارس أدواراً عدة في هذه الشــعبة المباركــة كعرافة حفل في المحافل القرآنية التي تقيمها العتبة المقدســة بحضــور قــرّاء كبار مــن جمهورية مصر والجمهورية الإسلامية في إيران سيما قرّاء العــراق، وكذلك كان مهتمــا بتنظيم المحفل الاســبوعي الذي يتم اســتضافة جميع قرّاء بغداد والمحافظات.

كلمة حرة

لا يســعني إلا أن أتقــدم بجزيــل الشــكر والتقدير لأســرة مجلة (ق والقرآن المجيد) المباركة والتي في الحقيقة يملأني الســرور عندما أقرأ مواضيع ومفــردات هذه المجلة الرائعة أجدها تتلألأ نورا وهاجا بما تطرحه من مواضيع هادفة تحتاجها العقول والقلوب القرآنية أشــد احتياج فكيــف لا تكون كذلك وهي تصــدر من عين العلــم الحكمة تحفها نفحات الإمامين الجوادين عليهما السلام كما أقدم جميل امتناني لجميع من قدم لي النصح والمشورة في حياتي القرآنية كما أدعو جميع الشــباب القرآني أن يتعلق بالدرس ويكثر من الأسئلة لأنها مفاتيح العلوم وبوابة الكسب النافع كما أدعــو الله العلي القدير أن يوفق العاملين في هذه المجلة كل التوفيق والسداد.

نشوز الزوجة وعلاجه في القرآن الكريم

رغد عزيز

نقف في مقالنا هذا على تفصيل الآية الثانية والثلاثين من سورة النساء، والتي خصت توضيح الكيفية القائمة لعلاقة المرء بزوجه، إذ ارتكزت على تحديد القيمومة بينهما، لتنتقل من بعدها إلى رسم أبعاد شخصية الزوجة الصالحة، وتمنحها مؤتيات سعادة بيتها بتفصيل، ثم تأتي الآية بذكر الضد لهذه المؤتيات، والتي من شأنها الذهاب بسعادة الأسرة، لتعطي سبل القضاء عليها، من حيث هذه العلاجات التي نصت عليها الآية الشريفة: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[1].

وقد أتى في ذكر معنى النشوز بشكله العام والخاص بالنسبة للزوجة على أنه (عدم رعاية حق الغير، ويطلق غالبا فيما بين الزوجين)[2]، (فقد يكون من الرجل، ويكون من المرأة...، فإذا نشزت المرأة كنشوز الرجل، فهو الخلع إذا كان من المرأة وحدها، فهو أن لا تطيعه)[3]، أي أن نشوزها هو (العصيان والاستكبار عن الطاعة)[4]، ويتحقق هذا إذا (ظهرت منها [أي من الزوجة] علامات النشوز ودلائله، فذلك يظهر بقول وفعل، أما القول فمثل أن كانت تلبيه إذا دعاها وتخضع له بالقول إذا كلمها، فامتنعت عن تلبيته وعن القول الجميل عند مخاطبته، والفعل مثل أن كانت تقوم إليه إذا دخل عليها إذا دعاها ثم تركت ذلك فصارت لا تقوم ولا تبادر، بل تصير إليه بتكره ودمدمة ونحو هذه، فهذه دلائل النشوز)[5]، ولا يخفى على الجميع أن نشوز الزوجة كفيل بالقضاء على ود زوجها لها وبالتالي القضاء على سعادتهما، فما هو إلا وباء قاتل للألفة والحب بين الزوجين، لكونه يولد النفور في نفس كل منهما لاسيما الزوج، فمن البديهي أن لكل فعل ردة فعل قد تكون أعظم وقعاً وتأثيراً منه، خصوصاً أن أقرب مضمون ما يفهمه العقل بالاستهانة والانتقاص من كينونة الزوج ومشاعره، فلا يمكن أن يتقبل الزوج من زوجته التنكر له والرغبة في الابتعاد عنه، وفي هذه الحالة يعطي الباري عز وجل الطرق المناسبة التي من شأنها ردع الزوجة وحثها على التراجع عن قرار النشوز، حيث يوكل الخالق صاحب القيمومة (الزوج) على تولي هذه المهمة من خلال أساليب ثلاثة تأخذ تباعاً ولهذا الأخذ حكمة وغاية، فـ(الأمور الثلاثة أعني ما يدل عليه قوله: "فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن" وإن ذكرت معًا وعطف بعضها على بعض بالواو فهي أمور مترتبة تدريجية: فالموعظة، فإن لم تنجح فالهجرة، فإن لم تنفع فالضرب، ويدل على كون المراد بها التدرج فيها أنها بحسب الطبع وسائل للزجر مختلفة آخذة من الضعف إلى الشدة بحسب الترتيب المأخوذ في الكلام، فالترتيب مفهوم من السياق دون الواو)[6]، ولكل من هذه الثلاث كيفية خاصة تتميز بالدقة والحساسية، والذي بفقدها يفقد كل منهم عمق تأثيره وبالتالي مدى فاعليته، (فعظوهن أولاً بالقول والنصيحة)[7]، ويجب أن تتميز النصيحة بالرغبة بالإصلاح وبذل الجهد لِلَم الشمل والبقاء على العشرة، لينجح الناصح في استقطاب زوجته وتراجعها عن موقفها، يجب أن يكون حريصًا على تطبيق ما اشتمل عليه نصحه، فضلاً عما ذكره ابن عباس حول ماهية النصيحة المقدمة إذ يقول: (فعظوهن بكتاب الله أولًا، وذلك أن يقول: اتقي الله وارجعي إلى طاعتي، فإن رجعت وإلا أغلظ لها القول)[8]، وهنا أيضاً لا يخرج الأمر عن وجوب تمتع الزوج بما يقدم من النصح لزوجته، أو بالأحرى أن يكون كلامه مَلكة بالنسبة له أي لا يتصنعها، فمن يعي أهمية إطاعة زوجته له، وما قول القرآن في حق هذا، لابد له أن يكون واعياً وعارفاً لحقوقها عليه، وحريص على تأديتها، ويأتي التأكيد على هذا لأهميته فمتى ما كان الزوج راعياً لحق الله في زوجته تلاشت من يدها أسباب عصيانه، وأوصد بوجهها باب النشوز عنه، وأصبح النصح والهجر والضرب حق مشروع كعلاج لهذه الحالة، قد أباحه الباري عز وجل له وحسب كيفية خاصة، إذ ينتقل الزوج من قرع عقل الزوجة بكلمات النصح والوعظ، إلى قرع أحاسيسها بما قد يصعب على كرامة أنوثتها تحمله ألا وهو مقدرة الزوج على الابتعاد عنها، والذي بدوره ينوه على مقدرته على التخلي عن حبها واستطاعته السيطرة والتحكم بعواطفه تجاهها، فقد جاء في تفسير الهجر الذي أشارت إليه الآية الكريمة أن (المراد إنما هو ما يؤذن بالصد والإعراض والقطيعة)[9]، و(معناه فاهجروهن في الفراش والمبيت، وذلك أنه يظهر بذلك حبها للزوج، وبغضها له، فإن كانت مائلة إليه، لم تصبر على فراقه)[10]، وفي حال عناد الزوجة وإصرارها على موقفها يقع الأمر الثالث ألا وهو الضرب، ولكن كما جاء في كتاب الله وليس كما ورد على فهم خلقه.

١- سورة النساء: الآية ٣٤.
٢- الفقه للمغتربين، السيد السيستاني/ ٤١
٣- فقه الرضا، علي بن بابويه القمي/ ٢٤٥.
٤- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي:٣٤٥/٤.
٥- المبسوط، الشيخ الطوسي: ٤/ ٣٣٧.
٦- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي:٣٤٥/٤.
٧- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطوسي:٨٠/٣.
٨- المصدر نفسه.
٩- الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ٦١٧/ ٢٤.
١٠- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطوسي:٨٠/٣.

كنوز الرحمن وحراس القرآن

غفران كامل

مَن كَأهلِ البيت ﷺ يستقرئ أسفار كتاب الله ويستخلص غرر آياته ويستنطق جوهر دلالاته؟، فهو لهم وفيهم ومعهم وعِدلهم وشريكهم، وقد اجتباهم الله تعالى لحمله فأضحوا له ترجماناً، وهم معه صنوان لا يفترقان في درب الإيمان، وتلكم التلازمية بين أهل البيت الميامين ﷺ والقرآن العظيم عبر عنها أمير المؤمنين ﷺ بقوله: (إن الله تعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه، ولا يفارقنا)[1]، فهذا الحديث يعطي إيجازاً لمفهوم رحب، ودلالة واضحة عن مكانة سامقة تبوأها أهل البيت الميامين ﷺ، لم يسبقهم بها سابق، ولن يشاركهم فيها لاحق، فأهل البيت ﷺ عاشوا مع النص القرآني منذ نزوله، وحملوا مكنوناته العظيمة التي ضعفت الجبال الرواسي عن حملها، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، والإمام موسى بن جعفر ﷺ كغيره من الأئمة الأطياب، نهل من نمير القرآن العذب، ليكون كآبائه الطاهرين مستودعاً للعلوم القرآنية، فلم تبق صغيرة ولا كبيرة في هذا المضمار إلا وأحاط بها علماً، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: (علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وسفريه وحضريه، وفى أي ليلة نزلت كم من آية، وفيمن نزلت وفيما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه، وشهداؤه على خلقه..)[3].

كما إنه ﷺ قد رفع لواء هديهِ مدافعاً ومنافحاً عن حوزته، ومبيناً دوره الكبير وأثره العظيم في الحياة العلمية لعموم المسلمين، فقد أوصى ﷺ أحد مواليه: (يا يونس: لا تكوننَّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه ضلَّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر)[4]، وإذا نظرنا إلى هذا الحديث نظرة خاطفة نرى أن الإمام الكاظم ﷺ يربط بين الإيمان بالأئمة الميامين والقرآن الكريم، فهما الثقلان اللذان يَعدل أحدهما الآخر، كما أنه ﷺ قد بدء حديثه بالنهي عن القياس والرأي المبتدع، باعتبار أنَّ عصره كثر فيه التعكز على هذا الإدعاء الخاوي، حتى جُعلَ أحد مسالك الاستنباط عند المخالفين.

ولم تخل حوارات الإمام الكاظم ﷺ حتى مع الحكام الظالمين من الاستشهاد القرآني، فنجد ردوده زاخرة بالفيض القرآني وبالأدلة العلمية المستوحاة من كتاب الله العزيز، كما نلاحظ أنه ﷺ قد اعتمد في حواره على الهدم والبناء في آن واحد، فهو يهدم العقائد الفاسدة والاجتهادات المغلوطة، ويبني محلها أفكاراً نيرة، تستند على دليل شرعي من الكتاب والسنة، فقد كانت للإمام ﷺ آليات ناجعة في محاورة الخصم وإسكاته، وذكر المؤرخون: إن الإمام ﷺ دخل على هارون الرشيد في بعض قصوره المشيدة الجميلة، فانبرى إليه هارون قائلاً: ما هذا الدار؟ فأجابه الإمام ﷺ غير معتن بسلطانه وجبروته قائلاً له: هذا دار الفاسقين، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[5]، وسرت الرعدة في جسم هارون، واستولت عليه موجة من الاستياء، فقال للإمام: دار من هي؟ قال ﷺ: هي لشيعتنا فترة، ولغيرهم فتنة، فقال هارون: ما بال صاحب الدار لا يأخذها؟ قال ﷺ: أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلا معمورة، قال: أين شيعتك؟ فتلا الإمام قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[6]، فثار هارون وقال بصوت يقطر غضباً، أنحن كفار؟ قال ﷺ: لا ولكن كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[7])[8].

والذي يمكن أخذه مما سلف أن الإمام الكاظم ﷺ وهو معدن التنزيل وصاحب التأويل، اهتم اهتماماً شديداً واعتنى عناية فائقة بتكريم القرآن وتقديسه، كما ودعا الأمة إلى الغوص بأعماق هذا البحر العميق، بُغية التقاط غرر جواهره واكتشاف كنوزه الثمينة، وركز ﷺ على الآصرة القوية والعلاقة الوثيقة ما بين كتاب الله العزيز وحملته، وهم أهل البيت الميامين ﷺ.

١- الوافي، الفيض الكاشاني، ٥٠١/٣.
٢- سورة الحشر، الآية ٢١.
٣- بصائر الدرجات، الصفار، ص٢١٨.
٤- الكافي، الكليني، ٥٦/١.
٥- سورة الأعراف: الآية ١٤٦.
٦- سورة البينة: الآية ١.
٧- سورة إبراهيم: الآية ٢٨.
٨- الاختصاص، الشيخ المفيد، ص٢٥٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٥٦/٤٨.

حجية العمل بظواهر القرآن

المشهور بين الحشوية وبعض من اتبعهم من الأخباريين هو عدم جواز تفسير القرآن إلا بنص وأثر، لأن القرآن كله متشابه على الرعية وليس فيه بالنسبة لغير المعصوم محكم، أي أنه ليس في القرآن آية أو كلمة يجوز تفسيرها والكشف عن معناها إلا بتوقيف الإمام، وما يبدو من آيات القرآن الكريم ظاهراً في المعنى قد لا يكون هو المعنى الذي يريده الله سبحانه وتعالى، وليس كل أحد يعلم مراد الله من هذا اللفظ الظاهر، والأمر مقتصر على الصفوة المنتجبة من أهل البيت عليهم السلام

سمير جميل الربيعي

لأجل ذلك قالوا: إن القرآن إنما يعلمه من خوطب به، وعلى ذلك لا يجوز تفسير آياته مهما بدت ظاهرة في المعنى، اعتماداً على قول مولانا أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام: (فأما من قال في القرآن برأيه فإن اتفق له مصادفة صواب، فقد جهل في أخذه عن غير أهله وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار)[1]، أو قول رسول الله صلى الله عليه وآله المروي عن العامة: (من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ)[2]، وخلاصة القول عند هؤلاء، إنه لما كان العلم بالقرآن وتفسيره منحصر بالأئمة عليهم السلام وحدهم فلا يجوز عندهم التفسير إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح، ولا يجوز العمل بالظاهر، ويرد عليهم مخالفوهم على الوجوه التي أوردوها بأن المراد من حديث الإمام العسكري عليه السلام، بانحصار علم القرآن وتفسيره بهم عليهم السلام، هو متى ما حُمل الكلام على خلاف الظاهر، أما ما كان ظاهراً فلا

١- وسائل الشيعة / الحر العاملي: ٢٧ / ٣٣.

٢- زبدة البيان في أحكام القرآن، المحقق الأردبيلي ص١.

شك في حصول العلم به من قبل الأئمة عليهم السلام وغيرهم، من قبيل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣]، الدالة على التوحيد، ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾[٤]، الدالة على الأمر بطلب الصلاة، وكثير من هذه الآيات القرآنية التي لها مدلولات ظاهرية لا مرجح لحملها على خلاف الظاهر، لأن القاعدة تقول الكلام لا يحمل على خلاف الظاهر إلا بوجود القرينة، كما أن معنى الانحصار في حديث الإمام العسكري عليه السلام يراد منه انحصار كل علم القرآن بهم عليهم السلام، وأنهم خصوا بمعرفته كله دون غيرهم، فهم أعلم بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيده، وعامه وخاصه، وظاهره وباطنه، يؤيد ذلك قوله عليه السلام (لا يدعي العلم بجميع القرآن غيرنا إلا كذاب)[٥]، ولكن الحديث لا يدل على عدم معرفة الباقين ببعض القرآن، ولو معرفتهم بظاهره العرفي، ولا هم مأمورون بتركه، بل هم مكلفون على حسب المقدور وبقدر الميسور، (إن ما لا يدرك كله لا يترك كله)، وليس للحديث دلالة على ترك العمل بالظاهر، وإلا لترتب على ذلك أمور عدة منها:

أولاً: ترك الاستدلال بالآيات القرآنية، لاحتمال أن من يستدل بظاهرها ويحملها على معنى معين لا يصيب المعنى المراد من الآية، وبالتالي يقع فيما يخالف الواقع.

ثانياً: لو كان للحديث دلالة النهي عن العمل بظاهر القرآن والنهي عن الاستدلال به، لتضاربت أقوال الأئمة مع أفعالهم، فهم عليهم السلام حرضوا وطلبوا من جماعتهم الاستدلال بالقرآن، فكان الفقهاء من أتباع أهل البيت عليهم السلام على مر العصور يستدلون به، ولم يصلنا ما يثبت خلاف ذلك.

ثالثاً: لو كان القرآن عصياً على غير المعصومين عليهم السلام حتى في ظواهره، لما ندب الله سبحانه وتعالى أقواماً إلى استنباطه ولما مدحهم لأجل ذلك بقوله ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٦]، ولما ذم أقواماً تركوا التدبر فيه وفي آياته ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٧]، ولسقط طلب التدبر لأنه يصبح من باب التكليف بما لا يطاق.

رابعاً: لو كان عصياً فما معنى طلب الأئمة من أصحابهم عرض الحديث الوارد عنهم على القرآن، وأي فائدة من ذلك، إذ كيف يمكن العرض عليه، وهو غير مفهوم المعنى وعصياً على الفهم والتدبر، أما قولهم ببطلان التفسير بالرأي فهذا صحيح، لأن التفسير كشف المستور والمبهم، أما حمل اللفظ على ظاهره، فلا يقال إنه تفسير لأنه ليس بمستور حتى يكشف عنه، والحق أن منعه يأتي من قِبل حمل القرآن على الأهواء والميول والاستحسان العقلي من دون دليل (لمن حمل القرآن على رأيه ولم يعلم شواهد ألفاظه، وقطع بالمراد من اللفظ الذي غير ظاهر من غير دليل، بل بمجرد رأيه وميله واستحسان عقله من غير شاهد معتبر شرعاً)[٨]، يؤيد هذا المعنى منطوق قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار)[٩]، في حين يفهم من هذا الحديث أيضاً بمفهوم المخالفة جواز القول بالقرآن لمن يمتلك العلم أو عنده شاهد معتبر شرعاً، وفي قولهم بأن التفسير قول بالرأي ما لم يكن هناك نص صريح أو أثر صحيح، فيعني أنهم لا يجوزون منه إلا ما كان منقولاً، وشرط أن يكون مسموعاً من أحد الأئمة عليهم السلام، ويرد على هذا القول، لو سلمنا بأن كل ما ورد عن كبار صحابة الأئمة ، لابد أن يكون مسموعاً من الأئمة عليهم السلام، فهذا يعني أن تفاسيرهم للآيات القرآنية يجب أن تكون واحدة وبنفس واحد، لأنها صادرة من مشكاة واحدة هم الأئمة عليهم السلام، ولما وجدوا فيها اختلافاً، لكن الشواهد التاريخية تذكر أنهم قد اختلفوا في تفسير بعض الآيات، فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا تتفق، ولا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك من الأئمة، إذاً هي من عند أنفسهم وينبغي أن لا تقبل، ويقال: هو تفسير بالرأي والحال أن تفاسيرهم مقبولة لدى الأئمة ومعتبرة ولا خلاف، هذا من جهة ومن جهة أخرى (أن أمير المؤمنين عليه السلام قد دعا لابن عباس قائلاً: (اللهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل) فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عبّاس بذلك)[١٠]، ثم أن القرآن نزل بلسان العرب لتمام الحجة عليهم، ولو كان القرآن من قبيل الألغاز وأنه غير مفهوم لديهم فأي حجة سيكون إن لم تفهم معانيه العرب فتدبر ذلك.

٣- سورة الإخلاص: الآية ١.
٤- سورة البقرة: الآية ٤٣.
٥- الوافية في أصول الفقه، الفاضل التوني ص٢٥٩.
٦- سورة النساء: الآية ٨٣.
٧- سورة محمد: الآية ٢٤.
٨- الأصول الأصيلة، الفيض الكاشاني: ٣٤/١.
٩- الوافي، الفيض الكاشاني: ٣٦٦/١.
١٠- الأصول الأصيلة، الفيض الكاشاني: ص٤١.

فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا

العفو والصفح

قال تعالى في كتابه الكريم: (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ)سورة البقرة:الآية ١٠٩
وقال تعالى في كتابه الكريم أيضاً: (وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)سورة الحجر:الآية ٨٥
وقال تعالى في كتابه الكريم أيضاً: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)سورة الزخرف: الآية ٨٩

- ١ -

الشيخ عبد الجليل أحمد المكراني

إن العفو والصفح من أصول الفضائل الإنسانيَّة، والآداب الفرديَّة والاجتماعيَّة، والسلوكيَّات التي حضَّ القرآن الكريم عليها؛ لأن القرآن نور وهدى، يحتوي على مراحل من التعليم والتربية لا تكون على حد سواء، بل بعضها أرفع من بعضها وبعضها أحسن من بعض، وإن كان الكل رفيعا حسنًا ويرشدك الى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[١]، حيث إن الإحسان فوق العدل، فمن اعتدى على الظالم بمثل ما اعتدى عليه فهو عادل، وأما من عفى وتجاوز عن مقابلته بالمثل فهو محسن، ولعله يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾[٢] فالقرآن الكريم حرص على أن يكفل للفرد والمجتمع التوازن المستمر في سيرة الحياة، جامعاً بين الجانب السلبي والإيجابي، مساوياً بينهما، فأمر بالعفو والصفح؛ أخذاً باليُسر والسماحة ودفع الحرج والمشقَّة عن الناس في الأقوال والأفعال، وهذا بلا شكَّ يتطلَّب ملكات نفسيَّة تسهِّل ممارسته، كسعة الصدر، والحلم، وقدرة التحمُّل، وحلّ المشاكل، وتجاوز العقبات؛ وذلك لأنّ العفو ركن مهمٌّ من الأخلاق الفاضلة التي يُسهم معها في بناء المجتمع الإسلامي، فمن أجل السمو بهذا المجتمع يتطلَّب من الإنسان المؤمن أن يعدَّ فضيلة العفو امتحاناً عملياً يتعرَّف من خلاله على حقيقة النفوس التي يتعايش معها في البيئة الواحدة. قال امير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمالك الأشتر: (فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)[٣] لذا أحببنا في هذه الكلمات القليلة أن نلقي بالضوء على هذه السمة الأخلاقيَّة المهمَّة ودورها في بناء المجتمع، من خلاله عرض معناها وذكر نماذج تاريخيَّة تطبيقية منها، مع التطرُّق إلى الإيجابيات التي تنتج عنها، لقد رغَّب الله تعالى في كتابه العفو عن الناس والصبر على أذاهم، فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]. فهو شعار الصالحين الأتقياء ذوي الحلم والنفس الرضيّة، وهو عبارة أخرى عن التنازل عن الحقّ، وليس التنازل عن الحقّ شيئاً يسيراً أو سهلاً، وذلك تراه لا يتّصف بذلك إلا الكرماء؛ لأنَّه نوع إيثار للآجل على العاجل، فالعفو فضل عظيم، وأجر كبير، فهو أقرب للتقوى، بل هو الكمال والتقوى، لذا خاطب الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه بقوله: ألا أحدِّثك بمكارم الأخلاق؟ الصفح عن الناس، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً[٥]، لذا عمدت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بقيادة الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله على سرد الروايات والأحاديث التي تبيَّن فضيلة العفو والصفح وذمّ الانتقام والأخذ بالثأر، وبثها في المجتمع الإسلامي، فطفحت سيرة النبيِّ صلى الله عليه وآله بمثل هذه النماذج من السلوكيّات الأخلاقيّة والإنسانيَّة؛ إذ إنّ مثل هذا السلوك يؤدِّي إلى انقلاب الطرف الآخر من موقع الشرِّ والعداوة إلى موقع الخير والمحبَّة والتجاذب، وتلك هي رسالة السماء الاجتماعيّة التي أمر الله تعالى نبيَّه في نشرها وسط المجتمع بقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٦].

فالآية الكريمة تأمر النبيَّ صلى الله عليه وآله بأوامر أخلاقيَّة مهمَّة ثلاثة ترتَّب بعضها على بعض، وهي العفو أولاً، والأمر بالعرف ثانياً الذي هو سيرة الحياة الطبيعيَّة وما يفهمه أبناء العرف في تعاملهم وسلوكياتهم مع الآخرين، والإعراض من الجاهلين ثالثاً، وهي حالة التغاضي وترك ما يرميه الجاهلون من تزييف الحقائق لأجل المساس بالقيم الإسلاميَّة النبيلة؛ طمعاً في تحقيق مآربهم. فيتَّضح من الآية تكليف الآخرين؛ لأنّها أوامر صادرة من الله تعالى إلى نبيِّه الكريم الذي هو القدوة الحسنة لسائر المسلمين، وهي توضِّح في مضمونها أهميَّة العفو والصفح في دائرة السلوكيّات من إلقاء المسؤولية على عاتق القادة الإلهيين؛ لكون الصفح والعفو من الصفات الإلهيّة والإنسانية كما تقدَّم، لذا نجد أنبياء الله وأوليائه المتَّقين الذين يمثِّلون - بصدق - معاني الإنسانيّة يتّصفون بها، وهنا نرى أنَّ القرآن الكريم يجعلها من صفات المحسنين، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ

١- سورة النحل: الآية٩٠.
٢- سورة الزمر: الآية٥٥.
٣- نهج البلاغة، في وصيته لمالك الأشتر.
٤- سورة آل عمران: الآية١٣٤.
٥- وسائل الشيعة ١٥/ ١١٩/ الحديث ٢٠٢٧٣.
٦- سورة الأعراف: الآية١٩٩.

النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٧]. وينتقل من بعد ذلك إلى ما هو أرقى منه، فهو يحثُّ على الصفح بعد العفو، فيقول تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾[٨]. وعلى العكس من هذه الصفة الإنسانية الانتقام الذي هو من الصفات الحيوانيَّة التي اتَّسم بها الكافرون والمنافقون والظلمة، ومن هنا أودع سبحانه وتعالى رحمته في قلوب المؤمنين من عباده، فجعلهم يعفون عمَّن أساء إليهم أو ظلمهم دون أن يوقعوا العقوبة بهم عند القدرة عليها، ذلك كلُّه طلباً لعفو الله تعالى؛ فإنَّ العبد إذا فعل ذلك صار أهلاً لعفو الله عنه، فإنَّه تعالى هو الذي يعفو ويستر ويصفح عن الذنوب مهما كان شأنها، ويستر العيوب ولا يحب إظهارها، فهو العفوُّ عن المسيء رغم إساءته، كرماً منه تعالى وإحساناً، بل يفتح واسع رحمته فضلاً وإنعاماً حتى يزول اليأس من القلوب، وتتعلَّق بخالقها العفو الرحيم، فإذا ما أيقن العبد المذنب بأنَّ الله تعالى كريم يعفو عن السيئات ويعفو عن الكثير فضلاً عن القليل، يلجأ إلى التوبة وطلب السماح منه تعالى وإلى طلب المغفرة والعفو، إذ العفو ـ كما يقول علماء اللغة ـ أبلغ من المغفرة؛ لأنَّ الغفران يُشعر بالستر، بينما العفو يُشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر، وعندما يطمئن الإنسان بأنَّ العفو هو سُلَّم يُرقى به إلى عزِّ الدنيا والآخرة، وأنَّ الانتقام دركات وانحدارات تهوي به إلى ذلٍّ ومقت يلاحقانه حتى الممات، فإنَّ من الطبيعي أن يؤثِّر العفو على الانتقام، وإذا علم أبناء المجتمع الواحد بأنَّ العفو يوسِّع دائرة الصدقات والمحاورات فيصبح المجتمع كالبيان المرصوص، قال رسول الله ﷺ: (تعافوا تسقط الضغائن بينكم)[٩]، أما إذا حاول البعض الانتقام فهو في هذه يسعى إلى تفشي العداوات حتى يصل بالمجتمع إلى الدركات المملوءة بالوحل الذي إذا ما ارتمس فيه الإنسان صعب عليه الخروج منه، الأمر الذي يهزّ كيان المجتمع ويزعزع استقراره، فتسود الفوضى والتناحرات، وهو من أسوء الأمور.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (قلة العفو أقبح العيوب، والتسرع إلى الانتقام أعظم الذنوب)[١٠]، وقال أيضًا: (شر الناس من لا يعفو عن الزلة، ولا يستر العورة)[١١].

وقال عليه السلام لما ضربه ابن ملجم المرادي (لعنه الله): (وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئًا، ومحمد ﷺ فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم، أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغدا مفارقكم، إن أبقَ فأنا ولي دمي، وإن أفنَ فالفناء ميعادي، وإن أعفُ فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة، فاعفو ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله، ما فجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلا كقارب ورد، وطالب وجد، وما عند الله خير للأبرار)[١٢].

٧- سورة آل عمران: الآية١٣٤.
٨- سورة النور: الآية٢٢.
٩- كنز العمال، ٣/٣٧٣.
١٠- ميزان الحكمة، ٣/ ٢٠١٣.
١١- المصدر نفسه.
١٢- نهج البلاغة: ٢٣.

المفسر الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي

صاحب (تفسير غريب القرآن)

فخر يفوق الفخر، واسم تشرف به المداد والسطر، وندىً يبتل منه القطر، حوا المعارف والعلوم، وَرَقت إلى عليائه النجوم، إنه فخر الدين بن محمد علي بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح بن خفاجي بن فياض بن حميمة بن خميس بن جمعة بن سلمان بن داود بن يعقوب الطريحي المسلمي العزيزي الأسدي الرماحي[1]

حيدر صباح عبد الرزاق

ولد في النجف الأشرف سنة ٩٧٩هـ، وتلقى المعارف عند والده وعمه وانكبَّ حتى ارتقى مراقي العلوم العالية والصفات الكمالية، ذكره الحر العاملي بقوله: (فاضل، زاهد، ورع، فقيه، شاعر، جليل القدر، له كتب منها مجمع البحرين)[2].

وقال الشيخ حسن البلاغي النجفي في كتابه تنقيح المقال: (كان أديبًا فقيهًا محدثًا عظيم الشأن جليل القدر رفيع المنزلة، أورع أهل زمانه وأعبدهم وأتقاهم)[3].

وقال المحدث الجليل الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب (العالم الفاضل المحدث الورع الزاهد العابد الفقيه الشاعر الجليل . . كان أعبد أهل زمانه وأورعهم)[4].

أساتذته

كان تلميذًا عند عمه الشيخ محمد حسين الطريحي، وقد حصل على الإجازة منه وروى عنه، وروى عن الشيخ محمد جابر عباس النجفي عن والده الشيخ عبد النبي الجزائري عن السيد محمد العاملي صاحب (المدارك)، وروى عن شرف الدين الشولستاني عن الميرزا محمد علي الرجالي عن الشيخ إبراهيم الميسي، ويروي عن الشيخ محمود بن حسام الجزائري عن الشيخ بهاء الدين العاملي[5].

تلامذته

تلمَّذ على يده خيرة من العلماء الأفاضل والمحدثين الذين كان لهم دور كبير في جمع ونقل تراث أهل البيت في التفسير والرواية والحديث وباقي العلوم، ومنهم:

١. محمد باقر المجلسي المتوفى ١١١١هـ صاحب كتاب (بحار الأنوار).

٢. السيد هاشم البحراني المتوفى ١١٠٧هـ صاحب (تفسير البرهان).

٣. الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤هـ صاحب كتاب (وسائل الشيعة).

٤. السيد نعمة الله الجزائري المتوفى ١١١٢هـ صاحب كتاب (قصص الأنبياء).

٥. ولده الشيخ صفي الدين الطريحي المتوفى بعد سنة ١١٠٠هـ، وله منه إجازات ثلاث.

٦. ابن أخيه الشيخ حسام الدين بن جمال الدين الطريحي المتوفى سنة ١٩٠٥هـ.

٧. الشيخ محمد أمين بن محمد علي بن فرج الله الكاظمي.

٨. المولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي القمي المتوفى سنة ١٠٩٨هـ.

٩. الشيخ محمد بن عبد الرحمن المحدث الحلي، أجاز له يوم الخميس جمادى الأولى سنة ١٠٧٠هـ.

١٠. الشيخ عناية الله بن محمد حسين بن عناية الله بن زين الدين المشهدي.

١١. السيد محمد بن إسماعيل بن محمد الحسيني النجفي، قرأ عليه " جامع المقال " وأجاز له يوم الاثنين ربيع الأول سنة ١٩٥٩هـ.

١٢. السيد محمود بن فتح الله الحسيني

١- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي: ١/ ٥.

٢- موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إشراف الشيخ جعفر السبحاني: ٤٠٨/٢.

٣- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي: ٨/١.

٤- المصدر نفسه.

٥- ينظر مجمع البحرين، مقدمة التحقيق للسيد أحمد الحسيني.

الكاظمي النجفي، أجازه يوم الأحد ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٩٥٩هـ.

١٣. الشيخ عبد الواحد بن محمد البوراني النجفي[٦].

ومن شعره في أهل البيت عليهم السلام

طوبى لمن أضحى هواكم قصده
وإلى محبتكم إشارة رمزه
في قربكم نيل المسرَّة والمنى
وجنابكم متنزه المتنزِّه
قلبي يهيم بحبكم تقريظه
في مثلكم والله غاية عجزه
يضحى كدود القزّ يُتعب نفسَه
في نسجه وهلاكه في نسجه[٧]

٦- المصدر نفسه.
٧- موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إشراف الشيخ جعفر السبحاني: ٢٢٢/١١.

مؤلفاته

١- الاحتجاج في مسائل الاحتياج.
٢- الأدلة الدالة على مشروعية العمل بالظن المستفاد من الكتاب والسنة.
٣- الأربعون حديثاً.
٤- إيضاح الأحباب في شرح خلاصة الحساب.
٥- ترتيب خلاصة الأقوال للعلامة الحلي.
٦- ترتيب مشيخة من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق.
٧- تحفة الوارد وعقال الشارد، في اللغة.
٨- تحفة الأخوان في تقوية الإيمان، ينسب إليه.
٩- تقليد الميت، نقل فيها سبعة أدلة لبعض معاصريه وردها.
١٠- التكملة والذيل والصلة للصحاح، وهو تكملة لصحاح الجوهري.
١١- جامع المقال في ما يتعلق بأحوال الدراية والرجال، سمي في الذريعة بـ(تمييز المتشابه من الرجال).
١٢- جامعة الفوائد.
١٣- جواهر المطالب في فضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
١٤- حاشية المعتبر في شرح المختصر للمحقق الحلي.
١٥- ثلاثة دواوين شعر.
١٦- شرح مبادئ الوصول للعلامة الحلي.
١٧- شفاء السائل في مستطرفات المسائل، في علم مواقيت الصلاة.
١٨- ضوابط الأسماء واللواحق.
١٩- الضياء اللامع في شرح المختصر النافع، المحقق الحلي.
٢٠- اللمع في شرح الجمع.
٢١- اللمعة الوافية في أصول الفقه ويسمى (فوائد الأصول).
٢٢- عواطف الاستبصار.
٢٣- غريب أحاديث الخاصة.
٢٤- غريب القرآن.
٢٥- الفخرية الكبرى في الفقه.
٢٦- الفخرية الصغرى وهو مختصر من الكتاب السابق.
٢٧- الفوائد الفخرية.
٢٨- الفوائد من كتاب الضياء اللامع.
٢٩- كشف غوامض القرآن، وهو فهرس للآيات الكريمة.
٣٠- كنز الفوائد في تلخيص الشواهد.
٣١- الكنز المذخور في عمل الساعات والأيام والليالي والشهور.
٣٢- مجمع البحرين ومطلع النيرين.
٣٣- مجمع الشتات في النوادر والمتفرقات.
٣٤- المستطرفات في شرح نهج الهداة، وهو شرح على نهج البلاغة.
٣٥- مشارق النور في الكتاب المشهور، وهو تفسير مختصر يعرف بـ(المشارق الطريحية).
٣٦- المقتل.
٣٧- مقدمة النكت الفخرية في أصول الفقه.
٣٨- المنتخب في جمع المراثي والخطب.
٣٩- النكت اللطيفة في شرح الصحيفة، وهو شرح على (الصحيفة السجادية).
٤٠- نزهة الناظر في تفسير القرآن الكريم، وغيرها من الإجازات والتعليقات والكتابات المتفرقة الموجودة في بعض المكتبات[٨].

وفاته

توفي رحمه في مدينة الرماحية سنة ١٠٨٥، حيث كان طاعناً في السن، ونقل إلى النجف الأشرف، وقد شيعه من الرماحية إلى النجف خلق كثير، وكان يوم وفاته يومًا مشهودًا لم يرَ يوم أعظم منه لكثرة الصلاة عليه، وقد أرَّخ عام وفاته تلميذه الشيخ محمد أمين الكاظمي بقوله:

رزء أصاب حشى الهدى والدين
مذ فخره أودى بسهم منون
علم له علم العلوم وفضله
منشور أعلام ليوم الدين
سل(مجمع البحرين)والدر التي
جمعت به عن علمه المخزون
وانظر لتأليفاته وبيانه الشا
ـفي بعين بصيرة ويقين
نجد التقى في فعله والحكم في
أقواله بالفضل والتبيين
لافخر حيث تضيف أصحاب الكسا
أرخ (وطيدا بعد فخر الدين)[٩]

ترك تراثاً كبيراً ما زال ينهل منه العلماء والمحققون منذ أن كتب تلك النفائس العظيمة إلى يومنا هذا، وغير العلماء أيضاً والدليل نحن نذكره ونتعلم من تراثه في هذه السطور في محاولة لإلقاء الضوء على شمس في وضح النهار فهي معادلة عقيمة، فالشمس لا تعيبها الأضواء، نعم هو شمس أشرقت به دروب المعارف، رحمه الله من عالم وفقيه وشاعر.

٨- المصدر نفسه.
٩- تفسير غريب القرآن، الطريحي، مقدمة التحقيق.

خُلُقُ المَعْرِفَةِ

مَرَّت علينا في العدد السابق حالتان من حالات التأثير السلبي في منهجية الفكر والسلوك العملي في طريق المعرفة وهما: أولاً: التكبر وجنون العظمة ودوره السلبي في المعرفة، وثانياً: الضعف والخوف وعقدة الدون أو الحقارة، وسوف نكمل الإشارة في باقي الموانع، متأملين من تقصيها منع النفس من تأثير هذه الموانع، وضبط النفس بطريق العقل

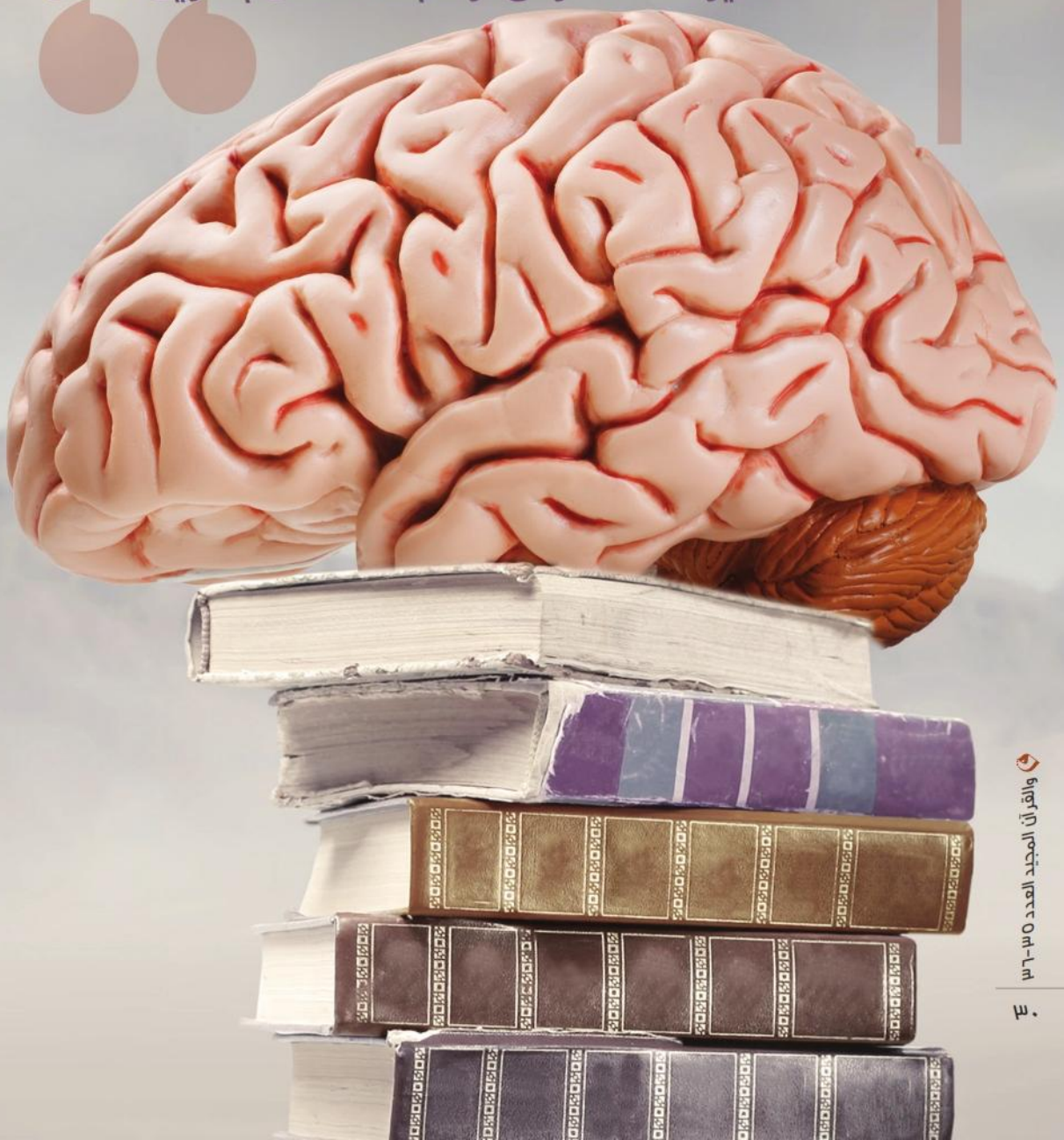

الشيخ قاسم الخفاجي

الحالة الثالثة

الدفاع عن الذات وعن المصالح الخاصة: في كثير من الأحيان يدافع الإنسان عن المعرفة، إلا أن دفاعه لا للمعرفة والحقيقة، بل دفاعه عن مصلحته ومنصبه ومكانته، يدافع عما بلغه من رفعة اجتماعية بسبب هذه المعرفة، فنفسه تخبره أن ذاته ستنتكس، وكل ما بناه من مجد سيأفل، كل الذي يملكه سيزول بما قُدِّم له من نظرية، إذن عليه أن يرد على هذه النظرية أو تلك الفرضية بكل ما يملك من أساليب، وكل ما يعرف من طرق، وإن كانت ملتوية.

هل ترى مثل هذا مهتم بالمعرفة والفكر؟ الجواب لا، إنه مهتم بمصلحته - ولو كان على خطأ- لا يعترف؛ لأنه سيخسر ما ناله من مجد.

لقد أشعرنا القرآن بذلك حين فضح رؤساء اليهود الذين أخفوا عن أتباعهم صفة النبي الأكرم ﷺ، أخفوا الحقيقة لأنهم سيخسرون منزلتهم ومكانتهم، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[1]، بهذا الوسواس استطاعت نفوسهم السيطرة على عقولهم، هكذا استطاعت أهواؤهم ومصالحهم الشخصية الوقوف بوجه طلب الحقيقة، ويمكن القول: إنه قانون عام، أن الفرد مهما كان عاشقًا للحقيقة، وتواقًا للوصول إليها، يمكن أن يتركها ويعرض عنها، بل قد يتحول إلى عدو لها إن كان نظره مشخَّصًا باتجاه نفعه ومصالحه الشخصية.

ولعلاج هذه الحالة علينا اتباع ما ينسجم مع العقل والفطرة السليمة هذه النعمة التي مَنَّ الله عز و جل علينا بها، لقد عرض القرآن صورة أخرى لمن قدَّم الحقيقة على مصالحه الشخصية والفئوية واستجاب للحق لمَّا عرفه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

الحالة الرابعة

الحقد والضغينة لا بسبب الاختلاف الدليلي: وهذه الحالة تنبع من عقدة أخرجت من الرحمة أول من دخلته، إنها عقدة الحسد هذه العقدة النفسية التي لا ترى من الحق أن يصيب غيره شيئاً، صاحبها لا يطيق رؤية نجاح أحد، أو ينال درجة رفيعة، ومن إشارات بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3]، يصوِّر القرآن حالتهم النفسية وكراهيتهم وحقدهم وحالات الهستريا إن أصاب المسلمين الخير، وليس ذاك إلا بسبب حسدهم، وكذا الكلام في بعض الأفراد، فإنا لو استقصينا مواقفهم لا نرى لها مبرراً إلا الحقد والضغينة المتولد من الحسد، مانعًا من قبول فكر الآخرين، وهؤلاء في الحقيقة وضعوا حجابا بينهم وبين المعرفة، بسبب حقدهم لا بسبب اختلاف المنهج، لأن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية كما يقال.

ولعلاج هذه الحالة علينا أن نعي أن رحمته وسعت كل شيء، ويختص برحمته من يشاء من عباده كما أخبر على لسان نبيه الأكرم ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[4]، وهذا الاختصاص حسب القابلية قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[5].

وهناك حالات أخرى كالعجب، والغرور، والتعصب، والاستبداد، والمراء، والشك المفرط والوسوسة، وغيرها، يتوجب علينا مراقبتها ومنعها من اللعب بعقولنا، وعلى منهجية التفكير.

١- سورة البقرة الآية ٨٩.

٢- سورة الأعراف الآية ١٥٧.

٣- سورة البقرة الآية ١٠٥.

٤- سورة آل عمران الآيتان ٧٣-٧٤.

٥- سورة الرعد الآية ١٧.

أَضْواءٌ مِن قَنادِيلِ رائِيةِ الخاقانِيِّ في التجويد

(ت ٣٢٥هـ)

الحلقة السابعة

المقال منشور في موقع ملتقى أهل التفسير

(٣٠)**وقُلْ إنَّ تَسْكينَ الحُروفِ بِجَزْمِهَا وَتَحْريكَهَا بِالرَّفْعِ والنَّصْبِ وَالْجَرِّ**

الصحيح هو: وقل إن تسكينَ الحروفِ وتحريكَها (بفتح كاف تحريكها) فهي معطوفة على (تسكينَ) المفتوحة، والعجب أن بعضهم طبعها بطبعة منشورة بالكسر عطفاً على (بجزمِها)، هنا صرَّح بنا الناظم رحمه الله قائلا: وقُل وردِّد وقرَّ واعترف وسلِّم معي أيها القارئ أن التسكين للحروف بالجزم، والتحريك لها بكذا وكذا من الحركات الثلاث، وكلنا يعرف أن التحريك والتسكين يكون لإعراب أو بناء، والمعرب ما تتغير علامته الإعرابية حسب العامل المؤثر فيه، والمبني ما لا تتغير علامته – اللهم إلا ما ينزع سكونه ويتخلى عنه ويبدي تحركاً بسبب ملاقاته ساكناً يزحزحه عن سكونه الأبدي فهو يأبى أن يجاوره ساكن لا ينطق فيبدأ هو بالحديث والتحرك إكراما لحق المجاورة، لا أدري أيُّنا لا يعرف ذلك وما علاقته بالأداء؟ فهذه مهمة النحو وقد كُفينا مؤونتها، كلا يا عزيزي أتذكرُ عندما أمرنا في بداية القصيدة بإعراب القرآن، إنها مقدمة اعترافية منه ومنا لإلزامنا بنتيجة رائعة تؤسس لقاعدة صوتية ترتكز عليها معارفنا الأدائية وهي عدم تحريك، الساكن، ولا تسكين المتحرك، ولا تلاعب بالحركات؛ لأن الحركات منها الخالص ومنها المشوب بغيره كما هو معلوم عندنا فجنَّبنا اللحن الجلي بذلك.

ولعل الناظم هنا يريد التذكير بأن ما يسكن من الحروف يبدي صفاته مميزةً ومحسنةً بشكل واضح جلي للأسماع، فسكونه يجعله مرئيّا ومسموعاً تراقبه العشاق والحساد والفضوليون، لا كالمتحرك الذي غادر محله بسرعة فلا هو ولا نحن نملك الوقت للتعبير عن وصفه بتروٍّ، وأظن أن الناظم أيضاً يريد التذكير أن ما يتحرك بحركة ما له الحق كل الحق بإبراز عضلات حركته ومدتها كاملة غير منقوصة، إلا بروم أو اختلاس منصوص عليه ومروي بالأثر، وكذلك بلا زيادة على الحركة تشوه زمنها المعهود وتحولها إلى حرف مدي من جنسها إلا ما يوصل من هاء الكناية بشرطها وشروطها واستثناءاتها.

وعندما سلَّمنا معه بما قال، قال في البيت التالي:

(٣١)**فَحَرِّكْ وَسَكِّنْ وَاقْطَعَنْ تَارَةً وَصِلْ وَمَكِّنْ وَمَيِّزْ بَيْنَ مَدِّكَ وَالْقَصْرِ**

الفاء الاستنتاجية هنا يتبعها أمر بأوامر عدة، ما هي؟

حرِّكْ:

حرِّكْ ما لا سكون فيه بحركته المقررة، إلا اللهم بوقف عليه، ويعود بالوصل متحركا.

وسكِّن:

سكِّن ما لا حركة له، بالأصل أو بالعروض، وكل من التحريك والتسكين بالحفاظ على المظاهر الصوتية المميزة والمحسنة للحرف.

واقطعَنْ تارة وصِلْ:

وليس هنا المعنى قطع التلاوة وانهائها وإغلاق المصحف، بل يعني الفصل بالوقف

د. كريم جبر الزبيدي

مرة والوصل أخرى.

وأظن أن أمره بالتحريك والتسكين لما يقبلهما وقفًا ووصلًا (وليس الساكن دومًا) لمزيد من الذربة الفائقة على أداء كل الكيفيات الوصلية والوقفية، أي يريد القول أنك يجب أن تتقن لفظ كل كلمة بكل حروفها محركة وساكنة وكيف تصلها بما قبلها وبما بعدها وكيف تبدأ بها وكيف تقف عليها وفي كل ذلك تراعي صفات الحرف لازمها وعارضها.

ولعل الناظم قصد بالقطع ما يعرف بهمزة أو ألف القطع في قبال همزة أو ألف الوصل والأصل، حتى لا يحصل تداخل بوصل ما يقطع، أو قطع ما يوصل منها في ابتداء الكلم، فلا يجوز إثبات همزة وصل (اهدنا) بوصلها بـ(نستعين) قبلها، ولا يجوز إسقاط همزة قطع (أنعمت) – الفعل الرباعي – بوصلها بـ (الذين) قبلها، فكل ذلك لحن جلي حذرت منه اللغة وعلماؤها قبل أن يمنع منه ويحرمه علماء التجويد، فهو ليس من التجويد، بل تكفل به علم النحو والصرف، ولعله يقصد القطع والوصل في علم الرسم المصحفي فما رُسم موصولاً لا يجوز فكه والوقف على بعضه أو أصل مكوناته، كعدم جواز الوقف على يا النداء وها التنبيه وغيرها، وما رسم مفصولًا يجوز الوقف على ما فُصل من أجزائه إلا ما وردت الرواية بمنعه كعدم جواز الوقف على إلْ والبدء بـ ياسين في قراءة عاصم مثلًا، والله العالم.

ومكّن:

أعط زمن الحرف الرخو زمنَ رخاوته ولا تبخسه حق زمن رخاوته (مديا الحرف كان أم غير مدي)، والتمكين في المدي أظهر لليونته الفائقة، ويزداد التأكيد بالتمكين إذا تبع الحرف المدي كالياء المدية بياء متحركة كـ(الذي يوسوس)، أو الواو المدية بواو متحركة كـ(آمنوا وهاجروا)، أو لعل الناظم يقصد بالتمكين أصل الأمر بالمد أي استوفِ مدته بالزيادة المقررة بلا سرقة لزمن المد المأمور به طبيعيًا أو زائداً.

وميِّزْ بَيْنَ مَدِّكَ وَالْقَصْرِ:

أمَرَكَ أيها القارئ بالتمييز والتفريق بين مدك (بكاف الخطاب) فهو فعلك وتلفظك أنت، لا فعل وتلفظ غيرك، والمد عكس القصر ومعانيهما معروفة.

فما اقتصرت فيه على الطبيعي الأصلي يجب أن يكون متناظراً متساوياً في كميته الزمنية (فاللفظ في نظيره كمثله)، وكذلك أسقط وجوباً بعض المدود الطبيعية الأصلية والزائدة الفرعية بحال الوصل، كالألفات السبعة، أو الحرف المدي الملاقي ساكناً، أو ما تستحدثه وجوباً كمد الصلة أو تسقط المد بحال الوقف كالمنفصل والصلة الكبرى أو ما تستحدثه حال الوقف كالعارض والعوض، وإن زدت عن زمن الطبيعي لعلة سكون أو همز فما تناظر منه يجب أن يكون مماثلاً أو شبيهاً بمدته بلا تفاوت.

(٣٢)وما المَدُّ إلا في ثلاثةِ أحرُفٍ
تُسَمَّى حروفَ اللِّينِ باح بها ذِكْرِى

هنا حصر المد بثلاثة حروف فقط، ويظهر أن تسميتها بحروف اللين سابقة لأوان كتابة القصيدة إذ ليس هو من سمَّاها بذلك - فأهل اللغة (وليس النحويون) قد اتفقوا على هذه التسمية - وباح بها (أظهرها) ذكره لها، فما هي هذه الثلاثة؟ قال:

(٣٣) هي الألِفُ المعروفُ فيها سكونُها
وياءٌ وواوٌ يَسكُنانِ معاً فادْرِ

الألف الساكنة التي لا يحتاج قول (ساكنة) لها لأنها لا تقبل الحركة مطلقًا ولا تقبل بمجيء حركة قبلها إلا الفتحة، وهذا معروف ومسلَّم به ولا يختلف عليه اثنان، وكثير ما يسمي علماء النحو والتجويد الهمزة ألفاً (ألف الوصل وألف القطع أي همزة الوصل والقطع) والسبب في ذلك هو صورتها الإملائية الدالة عليها غالباً، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن سكون الحروف المدية الصائتة الذائبة سكون ميت، لا كسكون الحروف الصحيحة الجامدة الصامتة كما وصفه الأوائل، واعتاد المحدثون على تسمية الحروف المدية بالحركات الطويلة، أي إن الألف فتحة طويلة والياء كسرة طويلة، والواو ضمة طويلة، فلا تقبل الحركة حركة، أما الياء والواو الساكنان فلأنهما يُحركان ويسكنان خصَّهما بقوله (يسكنان معاً)، والساكنان منهما إن سُبقا بحركة من جنسهما – الضمة قبل الواو الساكنة، والكسرة قبل الياء الساكنة - فهما المديتان، وإن سبقا بالفتح فهما اللينتان، إذن فهو لم يخصص الياء والواو المدية بالمد، بل شمل اللينة أيضاً، وكلاهما قابلتان لزيادة الصوت - حتى مطلع الفجر -، والمد العارض للوقف ومد اللين المهموز عند ورش دليل قابلية الزيادة بأصولها المقررة، ثم يختم البيت بقوله (فادرِ) أي فاعلم ذلك، وهذه الدراية تلزمك بقوانين صوتية لا ينبغي أن تكون جاهلاً بها، فتُفاجأ عندما تصطدم بها.

أوثقُ عُرَى الإيمان

ميادة قهرمان

من الواضح جدا أن استمرار الحياة وتكاثر بني البشر جرى عن طريق الزيجات المتتالية منذ أن خلق الله آدم عليه السلام حتى اللحظة، والتي أدت إلى ديمومة وجود البشرية فهي بلاشك من نعم الله على علينا، والجميل في ذلك أن الله تعالى وضع قانون هذا الأمر وجعله مرتبطا بالمودة والرحمة التي تضمن استمرار العلاقة الإنسانية حتى قيام الساعة، لذلك أشار المولى جل وعلا في كتابه المجيد عن هذه العلاقة الروحية بين الزوجين، وكفلها بالمودة قائلًا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، ثم دعانا إلى التفكر في ذلك، هل تستمر الحياة بلا مودة؟ والإجابة البديهية عليها، بلا؛ لأنَّ انقطاع المودة سيكون قاطعاً مانعاً لاستمرار ذلك الارتباط بنفور إقبال الزوجين كل على الآخر، ولم تكتف الآية الشريفة لهذه الجنية فقط، بل جعلتها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا برحمة الله لتؤسس مجتمعًا يرفل بالمودة والرحمة، سعيًا في تنمية العلاقات الطيبة بين أفراد المجتمع على وفق شيوع مفهوم الود في الله، فذلك أمر يؤكد دوام التعامل الإنساني البحت بعيدًا عن علاقة المصالح والغايات، وجعله مرتبطا بالله سبحانه، وهو واقعاً امتداد لمفهوم الود الإلهي لبني البشر المشتق من اسمه تعالى ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[2].

وهناك صور وأشكال كثيرة للود بين المؤمنين، منها تبادل المؤمن أخيه المؤمن مشاعر الفرح والحزن، بما يمهد السبيل لسيادة مفهوم التقارب في المجتمع، من خلال التآلف الذي يبتغيه الباري عز وجل بين عباده إذ قال عز من قائل: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[3]، فأهمية التودد والألفة بين المسلم وأخيه المسلم بوصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من شعب الإيمان، حيث يروى عن أبي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام انه قال: (قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لأَصْحَابِه: أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ، وقَالَ بَعْضُهُمُ الصَّلَاةُ، وقَالَ بَعْضُهُمُ الزَّكَاةُ، وقَالَ بَعْضُهُمُ الصِّيَامُ وقَالَ: بَعْضُهُمُ الْحَجُّ والْعُمْرَةُ، وقَالَ: بَعْضُهُمُ الْجِهَادُ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِكُلِّ مَا قُلْتُمْ فَضْلٌ ولَيْسَ بِه، ولَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ، والْبُغْضُ فِي اللهِ وتَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللهِ، والتَّبَرِّي مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ)[4].

فأكمل الشرائع الإلهية التي جاءت عبر النصوص القرآنية بل وأرقى المفاهيم الإنسانية التي تمت الإشارة إليها، هي مفهومي التحاب والتواد اللذان ذكرتهما الآية الكريمة من قوله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[5]، وقد جاء في تفسيرها ما روي عن فضيل بن يسار إذ قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض، أمن الإيمان هو؟ فقال: وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[6]، ولاشكَ أن حالة التناغم بين الأرواح المتآلفة في الله تظهر في نمط التعامل بينهم ومن خلال سلوكياتهم، وهو له علاقة بنجاح غاياتهم العملية المشتركة والإيمانية وشيوع مفاهيم التواد والتحاب، تلك التي تجعلهم أشبه بالأقارب بالنسب، كما أشار إليه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (المودة أقرب نسب)[7]، فالروابط البشرية تقوى بالمودة، وتخلق جو الانسجام الضروري لإكمال مسيرتهم الحياتية، وهو ما يسمو بمنزلتهم الأخروية، والذي حدث عنه الإمام علي بن الحسين عليه السلام قائلًا: (إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين، قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله ؟ قال: فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب قال فتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، قال: فيقولون: فأي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله قال: فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله، ونبغض في الله قال: فيقولون: نعم أجر العاملين)[8]، فمودة المؤمن لأخيه المؤمن في الله هي غاية وسبيل لإعلاء صرح الإسلام وبنيانه المرصوص.

١- سورة الروم : الآية ٢١.
٢- سورة البروج: الآية ١٤.
٣- سورة الأنفال: الآية ٦٣.
٤- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي: ٥٠٠/٢.
٥- سورة الحجرات: الآية ٧.
٦- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ١٦/ ٢٠٨.
٧- غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي: ٢٨٠/١.
٨- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦٦/ ٢٤٥.

التفسير بالرأي

هو التفسير بما يراه المفسر برأيه الشخصي ويوافق مذهبه ومصلحته، لا ما يقتضيه الموضوع، أو الواقع.

و قد يقال: (إن المراد من التفسير بالرأي هو أن يفسر الإنسان النص القرآني اعتماداً على رأيه وذوقه الشخصي، في مقابل الفهم العام للقرآن، المتمثل بالظهور العرفي، والذي يعتمد على القرائن السابقة)[1].

وقد ورد عن المعصوم التحذير من التفسير بالرأي، والذي يعد تفسيراً باطلاً، قال رسول الله ﷺ: (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[2]. يقابله التفسير الصحيح الذي يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، أو التفسير الروائي، أو التفسير اللغوي والشاهد الأدبي.

وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله : (إنما هلك الناس في المتشابه؛ لأنهم لم يقفوا على معناه، ولم يعرفوا حقيقته ، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم، واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرفونهم)[3].

ثم إن بعض المفسرين حاولوا إعطاء شرعية للتفسير بالرأي، على أنه جهد ونظر يبذله المفسر في تفسير آيات القرآن الكريم، إلا إن هذه الشرعية تسقط بالوقوف عند الحديث الشريف القائل : (من فسر القرآن برأيه فقد هوى)[4]. ويظهر من كلمات العلماء أنَّ معنى التفسير بالرأي هو أن يقول المفسّر في معنى الكلمة أو الآية مالا يؤيِّده ظاهر اللفظ بوجه من الوجوه، ولا يوجد نصٌّ يوافقه في رأيه من النبي ﷺ، أو أهل بيته عليهم السلام[5].

المسوغات

لقد وجد بعض المفسرين مسوغات للتفسير بالرأي، وأضفوا له الشرعية التامة، ومن تلك المسوغات، الآتي :

* إنهم رأوا أن مثل هذا التفسير غير ممنوع شرعاً.
* إنهم تعذروا بأن المفسرين في الصدر الأول كان هذا دأبهم.
*إنهم يعتمدون على الاستحسان، الذي يقرب المعنى إلى النفس.

احتمالات التفسير بالرأي

هناك احتمالات عدة لمعنى التفسير بالرأي، يمكن إجمالها بالاحتمالات الآتية:

- أن يكون المفسر غير حائز على العلوم[6] التي يحصل من خلالها على التفسير الصحيح، وتساعده في فهم الألفاظ، وبذلك يفقد القاعدة العلمية، و الاعتماد على ذوقه الشخصي ورأيه الخاص.

- التفسير الذي يعتمد على عقيدة ومذهب فاسد، فيجعل المذهب وأصوله وعقائده مادة يعتمد عليها في تفسيره، فضلا عن الأخذ بما ترسب في عقله من أفكار.

- تفسير المتشابه وبيان مراد الله تعالى من الآية أو اللفظ والقطع بذلك من غير دليل، بل الاعتماد على الذوق الشخصي والاستحسان.

- الابتعاد عن مدرسة النبي الأعظم ﷺ، وأئمة أهل البيت عليهم السلام- عدل القرآن.

ومدرستهم التي ملأت الآفاق طلابها، وعدم الرجوع إليهم أو الاستفادة من الأحاديث والروايات الصادرة عن النبي الأعظم ﷺ أو أئمة أهل البيت عليهم السلام، التي تمد التفسير الصحيح، وبالتالي الاكتفاء في التفسير بالظن الذي لا يغني من الحق شيئا.

النهي عن التفسير بالرأي

لقد ورد عن المعصوم عليه السلام، النهي عن التفسير بالرأي، وذلك للانحراف في فهم اللفظ القرآني، و قد ظهر هذا التفسير انحرافه واضحاً في استنباط الأحكام الشرعية، فالفقيه إذا لم يجد نصّاً من الكتاب والسنة، يعتمد على رأيه الشخصي ويبدل النص بالقياس والمصالح المرسلة.

مثال ذلك

كان المتوكل قد اعتل علة شديدة، فنذر إن عافاه الله أن يتصدق بدنانير كثيرة - أو قال : بدراهم كثيرة - فعوفي فجمع العلماء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا عليه، فقال أحدهم : عشرة آلاف، وقال بعضهم : مائة ألف . فلما اختلفوا، قال له عبادة : ابعث إلى ابن عمك علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام فاسأله عن ذلك، فبعث إليه فسأله، فقال عليه السلام: (الكثير ثمانون).

فقالوا : رد إليه الرسول : فقل من أين قلت ذلك، فقال: من قوله تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾،[7] فكانت المواطن ثمانين موطنا[8]. وقد بيَّن العلماء كلمة (كثيرة)، بآرائهم معتمدين على الذوق الشخصي، فقالوا فيها: بعشرة، و ألف، وغير ذلك، وقال الإمام عليه السلام، (ثمانون)، مستدلاً بالكتاب والسنة.

١- علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم، ص٢٣٢ .
٢- الميزان في تفسير القرآن:السيد محمد حسين الطباطبائي، ج٣، ص٧٥
٣- البيان في تفسير القرآن: السيد الخوئي، ص٢٦٩.
٤- تفسير سورة الحمد: السيد محمد باقر الحكيم، ص٤٧.
٥- تفسير القرآن المجيد: الشيخ المفيد، ص٢١.
٦- العلوم هي: (النحو، والصرف، الاشتقاق، المعاني، البيان، البديع، القراءة، أصول الدين، أصول الفقه، أسباب النزول، القصص، الناسخ و المنسوخ، الفقه، الأحاديث المبينة، الموهبة)، ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ج٣،ص٧٧، وقد ذكر العلوم التي يجب على المفسر معرفتها الزركشي، والسيوطي.
٧- سورة الأعراف:الآية ٢٥.
٨- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني، ج٢،ص٧٥١.

نبي الله داود عليه السلام

الشيخ طه العبيدي

بعث الله عز وجل مائة وأربعة عشر ألف نبياً هم خيرة خلقه وأصفياؤه، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولًا (صلوات الله عليهم أجمعين)، منهم نبي الله داود عليه السلام، أرسله إلى بني إسرائيل، وهو من أولاد يهودا ابن يعقوب، فهو داود بن ايشا بن عويد بن باعر بن سلمون بن يحسون بن يا رب بن رام بن حضرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وكان رجلًا قصيرًا أزرق قليل الشعر طاهر القلب فقيهًا[1]. نبيا ورسولًا، اختاره الله تعالى لرسالته وأتاه الزبور، فقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[2].

وقد ورث داود عليه السلام علم الأنبياء، وكان يأكل من عمل يديه، كبيع الدروع من الحديد، وقد عاش مائة سنة منها أربعون سنة ملكه، وكان ملكه ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر[3]. (إن نبيي الله داود وسليمان عليهما السلام ملكوا الأرض ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[4] بإخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والأشجار والعيون والأنهار وضروب المنافع)[5]. وإن عمره الشريف كان عمره أربعون سنة وزاده ستين سنة من عمر نبي الله آدم عليه السلام، فإن الله عز وجل عرض على آدم ذريته عرض العين في صور الذر نبياً فنبياً، وملكاً فملكاً، ومؤمناً فمؤمناً، وكافراً فكافراً، فلما انتهى إلى داود عليه السلام، قال: من هذا الذي نبأته وكرمته وقصرت عمره؟ فأوحى الله عز وجل إليه: هذا ابنك داود عمره أربعون سنة، وإني قد

١- المستدرك، الحاكم النيسابوري، ٥٨٥/٢.
٢- سورة الإسراء: الآية ٥٥.
٣- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ١٨١/١٢.
٤- سورة الأعراف، الآية ١٣٧.
٥- ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٣٤٤/٤.

كتبت الآجال وقسمت الأرزاق وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندي أم الكتاب، فإن جعلت له شيئا من عمرك ألحقته له، قال : يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة تمام المائة[٦]. وإنه عليه السلام ولد مختونا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (خلق الله عز وجل آدم مختونا، وولد شيث مختونا، وإدريس، ونوح، وسام بن نوح وإبراهيم، وداود، وسليمان، ولوط، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم)[٧]، وإن الله تعالى اختاره للسيف، كما أخبر بذلك الإمام أبو الحسن الأول عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله اختار من الأنبياء أربعة للسيف: إبراهيم، وداود، وموسى، وأنا..)[٨].

وداود اسم أعجمي، وعن ابن عباس هو بالعبرانية القصير العمر[٩]، ومعنى داود أنه داوى جرحه بود، وقد قيل: داوى وده بالطاعة حتى قيل عبد)[١٠]. مات نبي الله داود عليه السلام، يوم السبت مفجوعً، فأظلته الطير بأجنحتها)[١١]. وكان لنبي الله داود عليه السلام جارية تغلق له الأبواب وتأتيه بالمفاتيح كل ليلة ثم يقوم إلى عبادته، وفي الليلة التي توفي فيها، غلقت جاريته الأبواب وقبل أن تأتيه بالمفاتيح رأت رجلًا في الدار، فقالت له: من أدخلك الدار؟ فقال: أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن فسمع داود قوله، فقال أنت ملك الموت، فهلا أرسلت إلي فأستعد للموت. قال: قد أرسلت إليك كثيرا. قال: من كان رسولك. قال: أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك. قال: ماتوا قال فهم رسلي إليك، بأنك تموت كما ماتوا ثم قبضه[١٢].

عطايا الله لنبيه داود عليه السلام

لقد أعطي نبي الله داود عليه السلام، من النعم ما لم يعط غيره، منةً من الله تعالى، فقد أعطي مواهب وصفات عدة منها الآتي:

١- القوة والجلد وكثرة الرجوع إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿واذْكُرْ عَبْدَنَا داوُدَ ذَا الأَيْدِ * إنَّه أوَّابٌ﴾[١٣].

٢- الصوت الجميل، وتسخير الجبال والطير، فقد أعطي داود عليه السلام من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط، حتى أنه كان الطير والوحش ينعكف حوله، وإنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعه، ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيًّا، صلوات الله وسلامه عليه[١٤]، قال تعالى: ﴿إنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[١٥]، وإنه خطيب الأنبياء[١٦].

٣- المُلك، قال تعالى: ﴿يا داوُدُ إنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[١٧].

٤- الحكمة، فقد وهبه الله تعالى الفهم والعقل والفطنة وجودة النظر، قال تعالى: ﴿وآتَيْناه الْحِكْمَةَ﴾[١٨].

٥- فصل الخطاب في الخصومات، قال تعالى: ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[١٩]. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: داود عليه السلام كان يدعو أن يعلمه الله القضاء بين الناس[٢٠].

٦- إلانة الحديد، قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[٢١]، فقد ألان بيده الحديد كالشمع، فكان يصنع ما يشاء كيف يشاء. وكان يطوف في ولايته متنكرًا، يتعرف أحوال عماله ومتصرفيه، فاستقبله جبرائيل ذات يوم على صورة آدمي، فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: ما سيرة داود؟ فقال: نعمت السيرة لولا خصلة فيه! قال: وما هي؟ قال: إنه يأكل من بيت مال المسلمين . فتنكره وأثنى عليه ولقد أقسم داود أنه لا يأكل من بيت مال المسلمين. فعلم الله سبحانه صدقه، فألان له الحديد، كما قال تعالى: ﴿وألنا له الحديد﴾[٢٢]. وقيل: إن سبب إلانة الحديد لداود عليه السلام، أنه كان نبيا ملكا، وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أوحى الله إلى داود نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تأكل بيدك شيئا قال: فبكى داود عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى الحديد أن لن لعبدي داود فألان الله له الحديد، فكان يعمل كُلَّ يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمأة وستّين درعا فباعها بثلاثمأة وستّين ألفا، واستغنى عن بيت المال[٢٣].

٧- أعطي الزبور، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[٢٤]. عن ابن عباس، قال: أنزل الله الزبور على داود عليه السلام، مائة وخمسين سورة بالعبرانية، في خمسين منها ما يلقونه من بخت نصر، وفي خمسين ما يلقونه من الروم، وفي خمسين مواعظ وحكم، ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا أحكام، وروى: أنه نزل عليه في شهر رمضان[٢٥].

٨- صنع الدروع، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾[٢٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ أي: علمناه كيف يصنع الدرع. ثم إن أول من صنع الدرع داود عليه السلام، وإنما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين، فهو أول من سردها وحلقها، فجمعت الخفة والتحصين، وهو قوله: ﴿لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ أي: ليحرزكم ويمنعكم من وقع السلاح فيكم. وقيل: معناه من حربكم أي: في حالة الحرب والقتال، فإن البأس في اللغة هو شدة القتال[٢٧].

٩- العلم، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٢٨]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾[٢٩].

١٠- أعطاه نبي الله سليمان عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٣٠].

١١- علمه الله تعالى منطق الطير، وآتاه من العلوم شتى، فقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[٣١].

٦- بحار الأنوار، ٢٥٨/١١.
٧- علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ٥٩٤/٢.
٨- ينظر الخصال، الشيخ الصدوق، ص٢٢٥.
٩- عمدة القاري/ العيني، ٦/١٦.
١٠- بحار الأنوار، ٢/١٤.
١١- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ١٣٠/٨.
١٢- النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، السيد نعمة الله الجزائري، ص٣٤٠.
١٣- سورة (ص): الآية ١٧.
١٤- ينظر قصص الأنبياء، ابن كثير، ٢٦٨/٢.
١٥- سورة (ص): الآية ١٨.
١٦- بحار الأنوار، ٦٩/٣٩.
١٧- سورة (ص): الآية ٢٦.
١٨- سورة (ص): الآية ٢٠.
١٩- سورة (ص): الآية ٢٠.
٢٠- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، السيد نعمة الله الجزائري، ص٣٣٧.
٢١- سورة سبأ : الآية ١٠.
٢٢- مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ١٠٤/٧.
٢٣- الكافي ، الشيخ الكليني، ٧٤/٥.
٢٤- سورة الإسراء: الآية ٥٥.
٢٥- عمدة القاري، العيني، ٦/١٦.
٢٦- سورة الأنبياء: الآية ٨٠.
٢٧- ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ١٠٤/٧.
٢٨- سورة الأنبياء: الآية ٧٩.
٢٩- سورة النمل: الآية ١٥.
٣٠- سورة (ص): الآية ٣٠.

الشيخ المرحوم راغب مصطفى غلوش

صوتٌ الأصالة والإبداع

رعد الفرطوسي
أستاذ علم الصوت والنغم القرآني

الولادة والنشأة

القارئ الشيخ راغب مصطفى غلوش (١٩٣٨م-٢٠١٦م) ولد في قرية برما، مركز طنطا في محافظة الغربية، أخذه والده منذ تشكيل وعيه الأول ليسلمه لأحد المشايخ المحفِّظين للقرآن الكريم، فكان الطفل الصغير ابن الثامنة حديث أهل القرية وخاصة المحفظين والحفظة.

بداياته مع القرآن

في الرابعة عشرة من عمره ذاع صيته في القرى المجاورة، حتى وصل مدينة طنطا معقل العلماء، وتوالت إليه الدعوات من القرى والمدن القريبة من قريته، وكانت المهمَّة شديدة الصعوبة في البداية للوصول إلى المكانة المرموقة وسط جوٍّ يموج بمنافسات ضارية بين جهابذة تربعوا على عرش التلاوة في هذه البقعة التي نشأ فيها الشيخ راغب، وفي ظلّ وجود عملاقين، الأول: الشيخ مصطفى إسماعيل، والثاني: الشيخ محمود خليل الحصري، لم يعبأ القارئ الشاب والفتى الطموح بما يسمع ويرى من احتدام المنافسة، فكان لزامًا على الشيخ راغب أن يبحث عن العوامل التي تساعده في الوقوف على أرض صلبة وقواعد متينة، فبحث الشيخ راغب عن شيخٍ في علوم القرآن ليتلقى عليه علمي التجويد والقراءات، فاتجه إلى قبلة العلم القرآني في مدينة طنطا، والتحق بمعهد القراءات في المسجد الأحمدي، وتولاه بالرعاية المرحوم الشيخ إبراهيم الطبليهي. ويقول الشيخ راغب: "ووُفِّقت لأن أجعل من وجود الشيخ مصطفى إسماعيل بمنطقتنا دافعاً ومثلاً أعلى، فحاولت تقليده واتجهت إلى مدينة طنطا باحثاً عن عالِم قراءات، فوجَّهني أحد المعارف إلى رجل في المعهد الأحمدي اسمه الشيخ: إبراهيم الطبليهي الذي علَّمني التجويد والأحكام السليمة، وقرأت عليه قراءة ورش وأهَّلني لأن أكون قارئًا للقرآن كُلَّ يوم في المسجد الأحمدي، وخاصة بين أذان العصر والإقامة، فالتفَّ الكثيرون حولي، وبفضل الله دخلت قلوب الكثير من الناس، ودعيت للسهر في معظم قرى محافظة الغربية، وعرفت بالمحافظات المجاورة ممَّا جعلني أثق بنفسي تمام الثقة بالجهد والصبر والمثابرة والحرص الشديد على القرآن وتلاوته بتقوى والتزام"، وقد التحق الشيخ غلوش بالإذاعة المصرية

عـام ١٩٦٢م وكان عمـره لا يتعدى اثنين وعشرين عاماً؛ لذا يعد الشيخ راغب أصغر قارئ بالإذاعة في عصرها الذهبي[١].

المقدمة

في فـنِّ التلاوة وفي إشـكالية البحث عن أصالة العمـل الإبداعي، كما هي أصالة أيِّ عمل إبداعي آخر، هل هناك ثمة حدود مقنِّنة للتعرف على ملامح الأصالة؟ وفي معرض إعطاء إجابـة نلمّح إلـى أنَّ جدلية الأصالة والتحديـث لـم تزل متجـذِّرة فـي مجالات الإبداع الإنسـاني، لتميِّز بينما هو يسـتحق سمة الإبداع، وما هو دون تلك السمة، سواء كان مقلّدًا أو هابطًا أو مسـخًا مشوَّها خارج معاييـر الإبداع الإنسـاني، فالحداثة وإن لم تستقر على تعريف مُجمع عليه، إلا أن حدَّها بـ "الجِدة في الإبـداع" واحد من التعريفات المهمَّة والشاملة، فالحداثة الواعية تحرِّر من إسار المحاكاة والتقليد، وذلك بإنجاز عمل لم يـؤتَ بمثله من قبل، ولم يسـبق إليه مبدعه على صعيد الشكل والمضمون، وفي الحداثة تعبير عـن روح العصر بأبعـاده، وأحداثه وقضايـاه، تعبيـراً حضاريـاً، ممَّـا يعكس تغلغل القارئ في عصره، وارتباطه بالحياة مـن حوله ارتباطاً جوهريـاً، وليس للحداثة مواصفات محدَّدة وطقـوس معلومة، يمكن اسـتيعابها والنسـج على منوالهـا، كما أنها ليست طقسـاً يحفظ عن ظهر قلب ويُتبارى في تأديته، لأنها مشروع مفتوح بين القراء. وفي دراستنا هذه، نسلط الضوء على تجربة قـارئ عربـيٍّ مـلأ جوارحه عشـق الأداء الأصيـل منـذ نعومة أحلامـه، إذ لم يجرفه تيار الرداءة والاستهلاك، ولم تبهره أضواء الشـهرة، فقد ظـلَّ معتصماً متمسـكاً بحبل الرُّقيِّ والإبـداع، وكأني بهِ قد حمل طفولته وأحلامـه فـي حقيقـة الذاكـرة والوجدان، وكلما عصفت بـه الأيام والإحداث عاد إلى إبداعـه وأصالته، وصدح كمـن يؤذِّن: حيَّ على خيـر الأمل، فإن أصغينا لصوتهِ كأنما أصغينا إلى الحقيقـة والإبداع، وإن المنجز الإبداعي للشـيخ المرحوم راغب مصطفى غلـوش زاخر بمـا يجعله في صـفِّ القراء الكبار الذين سـحروا العالم والوجود بأدائهم الفاتن المدهش، وباللغة الفوَّارة القادرة على حفـر جبال الشـك بإبرة اليقيـن، لندخل إلى ملامـح تلك التجربة من خـلال واحة مجلة (ق والقرآن المجيـد) عن قرب وعن كثب، وثمة سـؤال يخالج الذهن مفـاده: ما القيمة الأدائيـة التي يكتسـبها غلوش بيـن القراء المعاصرين؟

والجـواب عن ذلك بأنَّه يكتسـب أهميته من حيث كونه خلاصة القراء المعاصرين، وسفيرًا لهذا الأداء المميز إلى العالم، وأعتقد أنَّ أي متأمِّـل لتلاواتـه يسـتطيع أن يـرى بوضوح اللمسات التعبيرية والوجدانية التي تكسـو أداءه روعة وعذوبة؛ لـذا يعدُّ رأس حربـةٍ لجيل من القراء الذين عاصروه، فقد اسـتطاع أن يضيف أسلوبًا متميزًا جمع بين طريقة الشـيخ مصطفى إسماعيل، وطريقة الشـيخ حمدي الزامـل، وكان لموهبته دورٌ مهـم بأن يتأثَّر لا أن يقلِّـد،إذ يُعرَّف التقليد: إعـادة النمـوذج نفسـه دون تجديـد فيه، أو الخروج عما قدَّمه السابق.

أسلوب أداء الشيخ المرحوم راغب مصطفى غلوش

يمتلك الشـيخ غلوش صوتاً رخيماً أضفى علـى شـخصيته التفـرد فـي عالـم الأداء والتعبيـر، ولـه صفاتـه الخاصـة وأداؤه المتميز، وهو قادر على التحكم في ديناميكية صوتـه، فيسـتطيع أن يؤدي بـه كثيراً من أسـاليب التعبير المختلفة، التي تسـاعده في إظهـار مهاراته الأدائية، مـن حيث التدرُّج بيـن القـوة والضعف على نغمـات طويلة، وأسـلوب الأداء المتصل، والتتابع النغمي، وغيرهـا من أسـاليب التعبير التي تكسـب الأداء تميزاً ووضوحاً.

أهم مزايا طريقة أداء الشيخ المرحوم راغب مصطفى غلوش

١. ينتمـي صوتـه فـي تصنيـف سـلم الأصـوات الرجالية إلـى التينـور الملون. والتينور: هو أعلـى أصوات الرجال، ويقع بين الألتـو والباريتون، ويقصد بالملون هو تنوع درجات صوت القـارئ في أثناء أداء الجملة النغمية الواحدة.

٢. يتمتع بمساحة صوتية واسعة الدرجات (تقدر بأوكتافين)، وهي منطقة يسـتطيع من خلالهـا أن يتدرج إلى أحد الدرجات، ومنها إلى أغلظ الدرجات.

٣. لـم يكن يسـتعرض قـوة حنجرته في أثنـاء الأداء فحسـب، وإنمـا كان يسـتخدم إمكاناته الطبيعية ويضيف قدرته على تلوين الصوت لخدمة التعبير الأدائي بما يتناسـب والكلمات.

٤. يتمتـعُ بجملةِ مواهبَ، أهمُّها: سـرعةُ الاستيعاب، وشدةُ الانتباه، والاستيعابُ: هو طاقةٌ وقدرةٌ على الفهمِ والإدراك.

٥. المرونةُ في صوتهِ عاليةٌ بحيثُ يتجولُ بين الأنغـامِ بسـهولةٍ تامةٍ ضمن مسـاحتهِ الصوتيـة، والمرونة: هي قـدرةُ التحكمِ في الصوت.

المآخذ على طريقة أداء الشيخ المرحوم غلوش

١. يتسـامحُ أحياناً في القواعدِ والأصولِ الأدائيـة، مرجِّحـاً الجانـبَ النغمـيَّ علـى حسابِ النصِّ.

٢. عـدمُ الوضـوحِ فـي بعـض مخارج الحروف.

٣. عـدم التوازن في الأداء، أي: (تمطيط الحركات وزيادة زمنها المقرر).

الخاتمة

هـا هو قارئنـا المرحوم غلـوش الذي رحـل عـن عالمنا قريبـا ليترك فـي القلب غصـة رحيـل الكبـار، وسـيبقى حاضـرًا بتلاواته القيمة وتراثه القرآني الثر، ليفترش صدر بيوتنا ويتوسـط قلوبنا، هو بيننا شاهدٌ متألـق الخيال، حاضر بقوة عبر اسـتقطاب أدائه الذي يعانق وجدان المستمع، لينسج لنا لوحةً فنية باهرة، يرسم بها المستقبل، ويتنبأ بالمجهول، فالشـيخ راغب مصطفى غلوش واحدٌ من الأصوات القرآنية التي تفهم الأداء وتحوِّلـه إلى شـيء مرئي، وأعتقـد أنَّ كُلَّ من عرف الشـيخ راغب رحمه الله الإنسان والقـارئ أدرك أنَّهمـا واحـد، وأن راغب الإنسـان يعيش حالة دائمة سواء في منطقة الإبداع القرآنـي، أو في غيرها من لحظات الحيـاة، فهو بمثابة أداء يتحرك وسـط حالة من التفاعل مع المتلقي تصل حدًّا للاندماج.

١- موقع الشيخ راغب مصطفى غلوش.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أدّبوا أولادكم على ثلاثِ خِصالٍ: حُبِّ نبيِّكم، وحُبِّ أهلِ بيتِه، وقراءةِ القرآن)

يَسُرّ دار القرآن الكريم
في العتبة الكاظمية المقدسة

أن تعلن لطلبة المرحلتين الابتدائية والمتوسطة عن بدء

الدَّوْرات الصَّيفيّة للبَنينِ وَالبَنات

تبدأ من ٢٠١٦/٦/١ م، فعلى الراغبين بالمشاركة مراجعة الدار داخل الصحن الشريف لتسجيل أسمائهم

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:
(الحافظُ للقرآن، العامِلِ بهِ، مَعَ السَفَرَةِ الكِرام البَررَة)

يَسُرّ دار القرآن الكريم
في العتبة الكاظمية المقدسة

أن تعلن لطلبة المرحلتين الابتدائية والمتوسطة عن استمرار

دَوْرَة تَحْفيظ القُرآن الكَريم للبَنينِ وَالبَنات

فعلى الراغبين بالمشاركة مراجعة الدار داخل الصحن الشريف لتسجيل أسمائهم